الفصل الثالث

الصورة الفنية فى شعر العماد

تعتبر الصورة الشعرية ركيزة أساسية من ركائز العمل الأدبى ، فهى تمثل جوهر الشعر ، وأهم وسائط الشاعر فى نقل تجربته ، والتعبير عن واقعه ، وهى سمه بارزة من سمات العمل الأدبى ، وإحدى المكونات الأصلية للقصيدة ، ونظراً لهذه الأهمية أعتبرت من وحى التجربة الشعرية ، فقد قام الشعر منذ القدم على الصورة وسيلة وأداة تعين الشاعرعلى الابتكار والإبداع فى عملية الخلق الفنى .

وتلعب الصورة دوراً مهماً فى بناء الشعر ، فهى تسهم فى تصوير المشاعر والأفكار ، وتحمل أصالة الشاعر وتفرده ، إذ أنها " تبقى أداة الشاعر الأولى والأساسية التى تفرق عصراً عن عصر ، وتياراً عن تيار ، وشاعراً عن شاعر ، وتظهر أصالة الخالق وتدل على قيمته ، وترمز إلى عبقريته وشخصيته ، بل وتحمل خصوصيته وفرديته ، لأنها الأداة الوحيدة التى ينقل بها تجربته ولا يمكن أن يستعبرها من سواه" [1] .

وكما هو واضح فإن الصورة الشعرية " ليست حلى زائفة ، بل إنها جوهر فن الشعر ، فهى التى تحرر الطاقة الشعرية الكامنة فى العالم والتى يحتفظ بها النثر أسيره لديه " [2] .

---

(1) نعيم حسن اليافى : الصورة الفنية فى الشعر العربى الحديث فى مصر ص84 ، رسالة دكتوراه ، آداب القاهرة ، 1967م .

(2) د. صلاح فضل : نظرية البنائية فى النقد الأدبى ص 238 ، الهيئة العامة للكتاب 2003م.(3) د.عبد القادر القط: الإتجاه الوجدانى فى الشعر العربى المعاصر ص 391، دار النهضة العربية، بيروت ،1981م

obeikan.com

ولا شك أن تشكيل الصورة الشعرية الجيدة تحتاج من المبدع حساسية خاصة عند التعامل مع اللغة ، حيث يتفق الباحثون على أن هذا التشكيل يقوم على حسن اختيار ألفاظ اللغة وتنسيقها على نحو معين فإذا كانت " الألفاظ والعبارات هما مادة الشاعر الأولى التى يصوغ منها ذلك الشكل الفنى أويرسم بها صوره الشعرية ".

فإن هذه الصياغة تحتاج إلى قدرات خاصة يشير إليها د. محمد فتوح بقوله " وبنية الصورة الشعرية تعتمد على مبدأى الانتخاب والتكثيف ، نعنى ذلك دقه انتقاء العناصر المكونه للصورة دون تزيد أواسترسال ، ثم أصالة الشاعر فى المزج بين هذه العناصر وتوظيفها لإحداث الدلالة التصويرية فى أعمق مستوياتها " [1].

فالمعنى ينبثق من الشعر وكذلك الصورة " فبنية المعنى فى الشعر إذن تتولد من صوره ، وتحليل هذه الصور هو ما ورثه علم الأسلوب الحديث فى الغرب عن علم البلاغة ، أما عندنا فى العالم العربى فما زال هناك انفصام شديد فى جبهة النقد الأدبى ، فمن يلجئون إلى التحليل البلاغى عاجزون عن القرب من المصطلحات والمفاهيم الحديثة ، وهم لذلك يعكفون على تقليد الأقدمين دون وعى حقيقى بما يقولون ، ودون إدراك لدور جزيئات الصور فى تركيب الشعر " [2].

إن "الصورة الفنية " ، هى " الجوهر الثابت والدائم فى الشعر ، قد تتغير مفاهيم الشعر ونظرياته ، فتتغير بالتالى مفاهيم " الصوره الفنيه " ونظرياتها ، ولكن الإتمام بما يظل قائماً ، مادام هناك شعراء يبدعون ، ونقاد يحاولون تحليل ما أبدعوه ، وإدراكه والحكم عليه " [3].

والصورة الشعرية تسهم دائماً فى التعبير عن رؤيه الشاعر للواقع ، فتصور مشاعره وأفكاره ، وتحمل أصالته وتفرده ، لأنها " وسيلة ينقل بها الكاتب أفكاره ،

---

(1) د. محمد فتوح أحمد : شعر المتنبى قراءة أخرى ص79، دار المعارف ، 1988م .
(2) انظر : نظرية البنائية فى النقد الأدبى ص239.
(3) د. جابر عصفور : الصورة الفنية فى التراث النقدى والبلاغى ص5، دار المعارف 1980م.

ويصبغ بها خياله ، فيما يسوق من عبارات وجمل ، لأن الأسلوب مجال ظهور شخصية الكاتب ، وفيه يتجلى طابعه الخاص ".

وتعتبر الصورة الشعرية هى " واسطة التحام الإنسان مع الكون لتشكيل نوع من الوجود الإنسانى الخاص ، ونظراً لوجود علاقات متشابكة تتدخل فى تركيب الصورة عند الشاعر ، فإن الاهتمام بدراستها للكشف عن هذه العلاقات غدا من الموضوعات الهامة التى بها النقد الحديث " [1].

ويعرفها د.على أبوزيد بأنها " أداة الشاعر الفنية ، يعبر بها عن تجربته ، ويرسم مشاهد من حياته وواقعه ، وقوامة الكلمات ، وما يحدثه بينها من علاقات ، يبتكر بها دلالات جديدة غير مباشرة ، يبنى بها عالماً متميزاً جديداً ، يجمع فيها عناصر متباعدة فى إطار من الإنسجام والوحدة ، تصور المعنى تصويراً إجمالياً ، وتخاطب المشاعر التى لاتعرف قيداً أوحداً أكثر مما تخاطب الفكر ، وتدع للخيال حريه التخيل حول الصور المشكلة ، بحيث تظهر شخصيه الشاعر واضحة مميزة "[2].

تعريف آخر : فإن الصورة الشعرية ، هى " الرسم بالكلمات ، التى تتشكل فى إطار نظام من العلاقات اللغوية ، تتحدد به طاقاتها الإبداعية ، ويعبر بها الشاعر عن المعانى العميقه فى نفسه ، ويفلسف بها موقفه من الواقع ، ويخلق بها عالمه الجديد ، من خلال توظيفه لطاقات اللغة المجازية وما تحمله من إمكانات دلالية وإيقاعية ، ويقرب بها بين عناصر الأشياء المتباعدة ، ليجمع بين الفكر والشعور فى وحدة عاطفية فى لحظة من الزمن

تجلى فيها أحلام الشاعر وطموحاته ، وتكشف عن سحر الشعر وما يحمله من دهشة وجدة "[3] .

---

(1) رزق المتولى رزق: الصورة الفنية فى شعر على بن الجهم ص280، رسالة ماجستير بآداب طنطا 2008م .

(2) د.على أبو زيد : الصورة الفنية فى شعر دعبل الخزاعى ص249 ، دار المعارف 1981م .

(3) د.على الغريب محمد : الصورة الشعرية عند الأعمى التطيلى ص30 ، مكتبة الآداب 2003م .

ولكى نقترب من دراسة الصورة الشعرية ينبغى أن نستحضر بعض خصائصها العامة وهى : "تتميز الصورة بأن كلماتها محددة فى معظم الأحيان ، وتقوم فيها علاقة متبادلة بين أشياء مخلوقة ،وغالبا ما تنتمى إلى عناصر طبيعية ، كثير الخيال وتدفعه إلى تصورات عينية قد تنتهى إلى درجة كبيرة من التركيب والتعقيد ،إنها تطلق الذهن نحو آفاق عليا من الحريه والتحديد والتماس المتعة القصوى فى استخدام الكلمات التى لم يسبق للغة عقلية تحريرها على الإطلاق ، كما أنها تسمح بتواكب الإحساس بما هو عفوى عابروجوهرى دائم فى الوقت نفسه،ويتجاوزعندها الشعور بالزمان والمكان، ليست الصورة مجرد نتيجة لحساسية الشاعر، بل هى القصيدة نفسها " [1].

فمن الملاحظ نجد أن ترديد كلمة "الصورة" فى النقد الأدبى أصبح كثيرا من قبل الباحثين ،فقد تعددت وتنوعت مفهوم الصورة الشعرية ، فهناك من يسمونها الصورة الفنية أو الصورة الأدبية أو الصورة البلاغية أو البيانية ، والبعض الأخر يقول :" التصوير البيانى أو الصورة مكان الصورة. وعند التطبيق قد لا تجد مفهومًا محددًا عند هؤلاء وهؤلاء ولكن تجد تصورات خاصة ، كل حسب اجتهاده" [2].

فما زال هذا المصطلح غامضًا ، قد أصابه نوع من عدم التحديد الواضح ، وأحياناً يصل إلى حد التعمية ، وأرى أنها نوع من السهل الممتنع الذى يدخل بالباحث فى مدارك أخرى قد تخرجه عن النص الأدبى ، ويحاول جاهدًا الرجوع إليه مرة أخرى ،فالصورة هى الصورة لا يستطيع أحد أن ينكرها ، فإذا الذى يمكن توصيفه إذا ما راينا إننا بحاجة إلى إضافة أو تعديل فى مفهوم الصورة " فإنها

(1) نظرية البنائية فى النقد الادبى ص 239 وما بعدها .
(2) عبدالله عووضه حمور : جوهرية الفن وماهية الصورة ص8 ، دكتوراه بجامعة القاهرة 1978 م ، نقلاً عن كتاب صورة الحضارة العباسية فى ق 3 هـ ، د. جمال عيسى ، المركز الدولى للنشر والتوزيع ، ط2 1997م .ص203 .

تبقى صورة ضمن تكوين شامل ، حجرًا فى بناء ، أونغمة فى لحن هرمونى ، أولونًا أو ظلاً أو ضوءًا فى لوحة "[1].

ولا شك أن ارتباط الأدب - خاصة فى الشعر الحديث – بالعلوم الأخرى كالفلسفة ، وعلم النفس ،وعلم الجمال ، وتأثره بمناهجها قد ساهم هو الأخر فى اضطرب المصطلح ، بل فى تعقده ، بحيث أصبح للصورة أكثر من مفهوم وأكثر من منهج لتناولها بالدراسة .

وسوف ندرس الصورة فى هذا الفصل وفق مجالاتها المختلفة وأول ما نقف أمامه هى مصادر الصورة المتمثلة فى " الموروث ، والطبيعة ومظاهر الحياة " ولا شك أن الصورة الفنية وسيلة أساسية لدى الفنان لنقل أفكاره وعاطفته ، وهى بذلك عماد العمل الشعرى ، ولولاها لأصبح العمل الشعرى مجرد نظم خاو ، يسوق المعنى مثلما تسوقه منظومات النحو ومشاكلها .

أولا : مصادر الصورة :

اهتم النقاد المعاصرون بدراسة مصادر الصورة ، وحظى الخيال بالاهتمام الأكبر من بين المصادر الأخرى . عند النقاد المتأثرين بالمذهبين الرومانسى والرمزى ، حيث أكدوا على دوره فى تشكيل الصورة المبدعة والتعبير عن ذات الفنان ، كما اهتم قسم كبير من نقادنا بالواقع [2] ، بوصفه رافدًا للصورة ،وبما يمثله من أهميته وأثر كبير فى تشكيلها ، فهو المصدر الذى يستمد منه المضمون .

ويرى د.عز الين إسماعيل أن الصورة : " تركيبية عقلية ، تنتمى فى جوهرها إلى عالم الفكرة ، أكثر من انتمائها إلى عالم الواقع "[3] .

ويعتبر الحس وسيلة الشاعر فى إدراك الصورة ، فهو لا ينقل الواقع نقلا

---

(1) محمد حسن عبد الله : الصورة والبناء الشعرى ص19 ، دار المعارف ، د.ت .
(2) د. بشرى موسى صالح : الصورة الشعرية فى النقد العربى الحديث ص61، 70 المركز الثقافى العربى، بيروت ،ط1,1994م .
(3) د.عز الدين إسماعيل : التفسير النفسى للأدب ص 58 ، ط4 ، مكتبة غريب بالفجالة ، القاهرة ، 1984م .

حرفياً ، بل ينقله عن طريق مشاعره ، وما تقع عليه عينه ،حيث يفرغ كل طاقاته وامكانياته فى إخراج الصورة ، فالصورة تخرج من إدراك المحسوسات .

تنوعت مصادر الصورة عند العماد ، فكانت تتمثل فى مشاهداته البصرية للطبيعة الحية والصامتة ، وفيما يعيه سمعه وإحساسه ، **فمن أهم هذه المصادر :**

1- **الموروث:** لعب الموروث دورًا مهمًا فى تشكيل صور الشاعر ، وذلك من خلال ثلاثة محاور : " الثقافة الدينية ، القصص القرآنى ، الأمثال " .

(أ) **الثقافة الدينية :**

كان "القرآن الكريم" أهم ما ميز صور العماد الفنية ، فقد استقى منها الكثير من المعانى والعبارات، وصاغ منه صوره وزينها به ، وذلك من خلال اقتباسه لآيات القرآن الكريم ، وتضمينها فى شعره : وذلك فى قوله :

ويلتقى يوسفٌ فيها بإخواتهِ واللّٰهُ يجمعهم مِنْ غيرِ تثْريبِ [1]

فهذه الصورة مستمدة من قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[سورة يوسف: الآية 92].

وقوله :

ويرى رجائى من مكارمهِ فى الثُّجحِ طرفٌ غيرُ مُرتَدِ [2]

الصورة مستمدة من قوله تعالى: ﴿... أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَۚ ...﴾ [سورة النمل: الآية 40] .وقوله فى مدح نورالدين محمود :

سفائنُ الآمالِ منْ جُودهِ قدْ اسْتوتْ منا على الجُودى [3]

هذه الصورة مقتبسة من قوله تعالى:﴿...وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّۖ ...﴾ [سورة هود: الآية 44] [4].

---

(1) الديوان ص 84.
(2) الديوان ص132
(3) الديوان ص138
(4) الديوان ص161

فصُّبوا على الإفرنجِ سوطَ عذابها بأن تقسموا ما بينها القتل والأسرا

هذه الصورة مستمدة من قوله تعالى ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [1].

وقوله :

ويومُ الفرنجِ إذا ما لقُوكَ عبوسٌ ،برغمهم ،قمطريرُ [2]

يستلهم الشاعر الصورة من قوله الحق (إنا نخافُ من ربنا يوْماً عَبُوسًا قمْطريرًا)[3].

وقوله عن سيدنا جبريل والقرآن الكريم :

مهبطُ الوحى بيته ، منزلُ الذِّكْـ ـرِ، بشفعٍ من المثانى ووتْرِ[4]

هذه الصورة مستمدة من قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [5].

وقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [6].

وقوله فى الغربة والفراق :

وملتُ إلى أرضِ السَّديرِ وجنَّةٍ هنالكَ مِنْ طلحٍ نضيدٍ ومِنْ سدْرِ[7]

مستلهمًا ذلك من قوله تعالى ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾﴾[8].

---

(1) سورة الفجر ،آية 13
(2) الديوان ص194.
(3) سورة الإنسان، آية 10
(4) الديوان ص201
(5) سورة الزمر آية 23
(6) سورة الحجر آية 87
(7) الديوان ص 206
(8) سورة الواقعة ، آية 28 ،29

وقوله مادحاً صلاح الدين:

بواقعةٍ رجّتْ بها الأرضُ جيشَهمْ دماراً كما بُسَّتْ جبالهمُ بَسّا [1]

الصورة فى الشطر الأول مقتبسة من قوله تعالى ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾﴾ والشطر الثانى متقتبس من قوله تعالى ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾﴾ [2].

وقوله فى مدح تقى الدين عمر:

وصارَ به هذا الزّمانُ جميعُهُ نهاراً فما للناسِ ليلٌ مُعَسْعَسُ [3]

هذه الصورة مستمدة من قول الحق ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾﴾ [4].

وقوله أيضاً:

ولولا ابتساماتُ المظفرِ بالنّدى لما راقَ نفسى صُبْحُهُ المتنفسُ [5]

الصورة فى الشطر الثانى مقتبسة من قوله تعالى ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾ [6].

ويقول فى مدح الخليفة المستنجد بالله:

أفى يوسفَ المستنجدِ اللّه قولُه: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [7]

مستلهمًا الصورة من قوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [8].

---

(1) الديوان ص 234.
(2) سوره الواقعه آية 4، 5.
(3) الديوان ص 237
(4) سورة التكوير آية 17
(5) الديوان ص 237
(6) سورة التكوير آية 18
(7) الديوان ص264
(8) سورة يوسف آية 56،21.

وقوله مادحاً نور الدين محمود :

وجعَلْـتَ فـى أعنـاقهمْ أغلالهُـمْ وسـحبْتَهُمْ هُـوْناً علـى الأدْقَـانِ [1]

هذه الصورة مستمدة من قوله الحق ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِيَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ [2].

فالشاعر- كما ترى – يستعين بالجمل القرآنية ؛ ليصنع بها شعره ويجمله ، بالإضافة إلى ما تستعيده هذه الجمل القرآنية من ذكريات ومواقف ذات أثر عميق فى وجدان المتلقى[3] .

فكما تأثر شاعرنا بالقرآن الكريم ، تأثر أيضاً بالحديث الشريف ؛ ليجعله مصدرًا لصوره، كما فى قوله :

هـى جنّـةٌ لأُولى المكـارمِ هُيّئَـتْ وكمـا تراهـا بالمكـارمِ حُفَّـتِ

فالصورة مقتبسة من الحديث الشريف " حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات " [4].

وقوله:

وبجـدِّهِ عرفـتْ مقالـةُ حيـدرٍ لا مِنْ دَدٍ أنا ،لا، ولا منّى الددنْ [5]

---

(1) الديوان ص411

(2) سورة يس آية 8

(3) نماذج أخرى لصور الاقتباس من القرآن،انظر: ص 417,434,452، 421،255،250،182،127.

(4) الديوان ص94 ، والحديث رواه صحيح البخارى :باب "حجبت النار بالشهوات " رقم الحديث 6487، ج4،ص230، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع 1422هـ -2001 م،وانظر : صحيح مسلم :كتاب " الجنة وصفة نعيمها وأهلها" طبع فى مصر بشرح السنوسى ط1 ،1327 هـ ، الجزء الثامن ، ص 142-143 .

(5) الديوان ص421.

هذا المعنى مقتبس من الحديث الشريف " لست من ددٍ ولا ددٌ منى "[1].

(ب) القصص القرآنى :

يتخذه شاعرنا رافدًا من روافد الموروث الثقافى ، ومن الأنبياء الذين استلهمهم الشاعر فى شعره ، وكانت قصصهم محورًا ومرتكزًا للعديد من صور شاعرنا ، قصة سيدنا "يوسف عليه السلام ،وأبيه "يعقوب" عليه السلام .

حيث يقول الشاعر :

ويستقرُّ بمصرَ يوسفٌ وبهِ ... تقَرُ بعدَ التَّنائى عينُ يعقوبِ

ويلتقى يوسفٌ فيها بإخوتهِ ... واللّٰه يجمعهم من غيرِ تثريبِ

فارجو الإلهَ ، فعنْ قُربٍ بنُصرتهِ ... سيكشفُ اللّٰه بلوى كلِّ مكروبِ [2]

وقوله أيضًا :

عادَ منْ مصرَ يوسفٌ وإلى يعـ ... ـقوبَ بالتهنئاتِ جاءَ البشيرُ

عادَ منها بالحمدِ ، والحمدُ للـ ... ـهِ تعالىَ فإنّهُ المشكورُ

فلأيوبَ من إيابِ صلاح الدِّ ... ينِ يومٌ به تُوفِّى النُّذورُ

وكذا إذْ قميصُ يوسفَ لاقَى ... وجْهَ يعقوبَ عادَ وهو بَصيرُ

ولكُمْ عودةٌ إلى مصرَ بالنّصـ ... ـرِ على ذِكْرِها تمرُّ العصورُ[3]

ويشير إلى قصة سيدنا "سليمان عليه السلام " والنملة ،فى قوله:

عندَ سليمانَ على قَدْرِهِ ... هديّةُ النّملةِ مقبولَهْ

ويصغرُ المملوكُ عنْ نملةٍ ... عندكَ ، والرَّحمةُ مأمولَهْ

---

(1) الألبانى :سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيىء فى الأمة ، رقم الحديث 5324 ،المجلد الخامس ،ص 469 ، ط مكتبة المعارف ،الرياض ، الطبعة الأولى ، 1417هـ -1996م .

(2) الديوان ص84.

(3) الديوان ص183

رِقِّـــى لمـــولانا ،وملكـــى لـــه وذمَّتـــى بالشُّكـــرِ مشغولَـــهْ
وإنمـــا شـــيمة مولـــى الـــورى طاهـــرةٌ بـــالخيرِ مجبولَـــهْ [1]

ويشير أيضًا إلى سيدنا "سليمان" وسيدنا "اليسع" :

أنـتَ سليمانَ فى العفـافِ وفـى الـ مُلـكِ ،وتحكـى بزهـدكَ اليسـعا [2]

ويشير كذلك إلى سيدنا "داود" عليه السلام ، فى قوله :

وإنْ بغَـــى جالـــوتُها ضلالـــةً فأنـــتَ فـــى إهلاكـــهِ داودُهـــا [3]

ويتخذ شاعرنا من " الأحداث السياسية " محورًا لصوره ، حيث يصور هزيمة وخيبة الإفرنج فى "حوران" وانتصار قوى الحق والعدل على قوى البغى والعدوان ، وكان للعماد الفضل فى نقل هذه الصورة إلينا ، وذلك فى قوله:

يـا خيبـةَ الإفـرنج حيـنَ تجمَّعـوا فـــى حـــيرةٍ وأتـــوا إلى حَـــوْرانِ
جـــاؤوا وظـــنهُمُ يُعجِّـــلُ ربْحَهـــمْ فأعدتهـــمْ بـــالخِزى والخـــسرانِ
وظنونـــهُمْ وقلوبهُـــمْ قـــدْ أيقنـــتْ للرُّعـــبِ بالإخـــفاقِ والخفـــقانِ
وجلـوتَ ،نـورَ الـدّينِ ،ظلمـةَ كُفْـرهمْ لمـــا صَـــدَعْتَ بواضـــحِ الـــبُرهانِ
وهـــزمتهُمْ بـــالرّأى قبـــلَ لقائهـــمْ والـــرّأىُ قبـــلَ شـــجاعةِ الشُّجـــعانِ
راحـــوا فبـــاتوا تحـــتَ كـــلِّ مذلَّـــةٍ وضـــربْتَ مـــنهُمْ فـــوقَ كـــلِّ بنـــانِ
مـا فـى النَّصـارى العُـتْمِ إلا مَـنْ لـه فى الصُّلبِ ،بانَ الكسْرُ ، والصُّلبانِ
ولُّـوا وقلـبُ شـجاعهمْ فـى صـدرهِ كالسَّـيفِ يُرْعِـدُ فـى يمـينِ جـبانِ
فـــاروا مـــن الفَـــوّار عنـــدَ فرارهـــمْ بـــالفوْرِ وامتـــدُّوا إلى المـــدانِ[4]

(1) الديوان ص362
(2) الديوان ص285
(3) الديوان ص145
(4) الديوان ص412-413

ويتحدث عن مشاركة المشركين مع بنى قريظة والنضير، والملك الذى يدعى الإمامة ، وهروب ملك بيت المقدس "الهنفرى " كهروب الكلب من أمام الأسد :

شــاركَ المشــركينَ بغيــاً ،وقــدماً شاركتهـــا قريظـــة والنضـــيرُ
والــذى يــدَّعى الإمامـــةَ بالقـــا هـــرةِ ارتـــاعَ ، إنّـــهُ مقهـــورُ
وغـدا الملـكُ خائفـاً مـنْ سُطاكُـمْ ذا ارتعـــادٍ كأنّـــهُ مقـــرورُ
وبنـــوا الهنفـــرىِّ هائـُــوا ففَـــرُّوا ومـــنْ الأُسـدِ كـلُّ كلـبٍ فـرورُ [1]

ويشير إلى حصار " الأحزاب " على سيدنا "محمد صلى الله عليه وسلم" وهم قريش، وغطفان ،وبنو قريظة ،ولكن الله عز وجل نصر حزب النبى على حزب الأعداء .

يقول شاعرنا :

كحصـارِ الأحـزابِ طيبـةَ قـدما ونبـى الهـدى بهـا منصـورُ
فاشـكرْ اللهَ حيـن أولاكَ نصـراً فهـو (نعـمَ المـولى ونعـمَ النَّصـيرُ)
ولكُـمْ أرجـفَ الأعـادى فقلـنا مـا لمـا تذكُرونـه تأثـيرُ
ولجأنـا إلى الإلـهِ دُعـاءً فلوجـهِ الدُّعـاءِ مـنهُ سُفـورُ
وعلمنـا أنَّ البعيـدَ قريـبٌ عنـدهُ ، والعسـيرَ سَـهْلٌ يسـيرُ [2]

ويصور لنا هروب قوم من الإفرنج "الداوية" وينزل عليهم العذاب كالمطر، ويهدم السقوف فوقهم ، ويكسر صلبانهم وينكس أعلامهم ،ويسفك دمائهم :

فـــرَّ فريـــقُها وأزعجَهـــا نـــداءُ داويِّهـــا تلهفُهـــا
يمطـرُ مطرانُهـا العـذابَ كمـا يُـردَى بهـدِّ السُّـقوفِ أسقفُهـا

(1) الديوان ص181
(2) الديوان ص182

تكســـرُ صـــلبانها وتنكـــسُها لقصـــمِ أصْلابهـــا وتقصفُهـــا

أوردتَ قلـــبَ القلـــوبِ أرشيـــةً مـــن القنـــا للدّمـــاءِ تـنزفُهـــا

وليتهـــا سفكَـــها معامـــلُها عامـــلُها، والسّـــنانُ مُشرفُهـــا [1]

وقوله مادحاً صلاح الدين:

فسـرْ وافـتح القـدسَ واسـفكْ بـهِ دمـــاءً متـــى تجُـــرها ينظـــفِ

وأهـــد إلى الأسْـــبتار البئـــار وهُـــدّ السُّـــقوفَ علـــى الأســـقفِ

وخلِّـصْ مـن الكفـرِ تلـكَ البـلادَ يُخلِّصُـكَ اللّهُ فـى الموقـفِ [2]

يحثنا الشاعر على فتح القدس ،وسفك دماء العدو ، وهزيمة الطوائف المختلفة وهدم السقوف ،وتخليص البلاد من الكفر والشرك.

ومن الأحداث أيضًا موقعة "حطين" اتخذها الشاعر مصدرًا قوياً لصوره، حيث هزيمة الأعداء فى هذه الموقعة ،ولم يبق من أجناسهم جنسا ،فنعم مجال الخيل حطين .

ويفخر بذلك قائلا :

حططتَ على حطِّينَ قدرَ ملوكهمْ ولم تُبقِ منْ أجناسِ كُفْرِهمُ جِنْسا

ونعْمَ مجالُ الخيلِ حطِّينُ لم تكنْ معاركُها للجُرْدِ ضَرْساً ولا دَهْسا [3]

وقوله أيضاً :

يـا يـومَ حطّـينَ والأبطـالُ عابسـةٌ وبالعجاجةِ وجهُ الشَّمسِ قدْ عبَسَا

(1) الديوان ص310
(2) الديوان ص304
(3) الديوان ص234

رأيــتُ فيــه عظـيمَ الكفــرِ محتقــرًا مُعَفّـرًا خـدُّهُ والأنـفُ قـدْ تعَسَـا[1]

وقوله فى يوم "الرملة" المرهوب ،مفتخرا بذلك ومادحا الملك المظفر تقى الدين عمر:

ويــومَ الرَّملــةِ المرْهُــوبِ بأْسَــاً تركْــتَ الشِّــركَ مُنــزعجَ القَطيــنِ

وقــدْ غــادرتَ أشــلاءَ الفرنــجِ كمحصــودِ الــزَّورعِ علــى الجــرينِ

وأضــحى الــدِّينُ منــكَ قريــرَ عيــنٍ وظــلَّ الشِّــركُ ذا طــرفِ ســخينِ[2]

(ج) الأمثال:

يستخدم العماد المثل كموروث إنسانى، يلخص به موقفه العاطفى والنفسى ، وهو بذلك يمتزج بالنسيج البشرى التليد ،ويصل التجارب الإنسانية التى يتفاعل معها بتجارب السابقين، فالمثل قول ومركز قوى انحدر عنهم خلاصة لمجموعة من التجارب والخبرات ، وتعبيرًا عن حياة الأمم بتاريخها ورجالها وبيئتها وتصورتها ، فهى بذلك صدى قوى لكثير من جوانب الحياة الجاهلية والعربية ورصد لقيمتها الفكرية ، والأمثال "فلسفة أخلاقية عملية مادية روحانية ،وروحانيتها قسمة أخلاقية كريمة تحاول أن تعالج حسن التصرف فى حياة البادية على أحسن طريقة ممكنة للحفاظ على الحياة الذاتية والقبلية ،وللحفاظ على الشرف الذاتى والقبلى ،وللحفاظ على الصيت الحسن،والحياة الطيبة على ألسنة الناس"[3].

(1) الديوان ص229.
(2) الديوان ص429.
(3) حنا الفاخورى : الحكم والأمثال ص17 ،دار المعارف ،سلسلة فنون الأدب العربى ، ط 2،1969م .

obeikan.com

وتكمن قيمة المثل فى كونه "يرجعنا إلى مورد ينير لنا المضرب الذى يطابقه،ويسمو بمعناه إلى مستوى القيم المشتركة ،ويعرب فى نفس الوقت عن سعة الرصيد الثقافى الذى يتصرف فيه الشاعر"[1].

وتعتبر الأمثال العربية من المصادر الرئيسية فى الاقتباس عند العماد ، وهو حين يوظف المثل فى بنائه الفنى، فكأنه يدرج تجربته فى إطار الوحدة الإنسانية الشاملة لثبات فطرة الإنسان وطبيعته على اختلاف العصور، ففى تصويره للأمثال يقول:

يُقـــالُ لـــــهُ:ليـــــسَ ذا بعُشِّكَ،قُـــــــمْ فـــــادرُجِ [2]

هذا البيت تضمين للمثل العربى "ليس بعشك فادرجى"[3] يضرب لمن يدعى أمرًا ليس من شأنه. وفى قوله:

أسْجَحْتَ حينَ ملكتَ عفوًا عنهمُ إنَّ الكـريمَ مُؤَمّـلٌ إسجاحُـهُ[4]

وقوله:

مَلَكـتَ فأسْـجَحْ ،فمـا للبـلادِ سـواكَ مُجـيرٌ ومـولى نصـيرُ[5]

الإسجاح : حسن العفو ،والبيت مأخوذ من المثل السائر فى العفو عند المقدرة، ملكت فأسجح:أى ظفرت فأحسن وقررت فسهل وأحسن العفو[6].

---

(1) محمد الهادى الطرابلسى : خصائص الأسلوب فى الشوقيات ص323، منشورات الجامعة التونسية،1981م.
(2) الديوان ص104
(3) جمهرة الأمثال :لأبى هلال العسكرى 197/2 ، تح/محمد أبو الفضل ابراهيم وعبد المجيد قطامش،ط المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة ،1964م.
(4) الديوان ص114
(5) الديوان ص193
(6) الديوان ص237

وفى قوله يمدح تقى الدين عمر:

لحــى اللّٰهُ أبنــاءَ الزَّمــانِ فكلُّهــم صــحيفتُه أوْدَى بهــا المتلمِّــسُ [1]

الشطر الثانى مأخوذ من المثل الذى يشير إلى "صحيفة المتلمس"[2] ويضرب لمن يحمل كتابًا فيه حتفه وذلك أن عمرو بن المنذر حمل المتلمس وطرفة كتابين إلى عامله على البحرين يأمره فيهما بقتلهما ، فأما المتلمس فعرف ما فيه فألقاه فى نهر الفرات ولم يذهب ،وذهب طرفة بالكتاب فقتل.

ويقول فى مدح الخليفة المستضىء باللّٰه:

تبغى بقرعِ عصَا التقريعِ لِى رَشدًا كمــا يُنبّــأ ذو حلــم بقــرعِ عصَــا[3]

البيت يشير إلى المثل "إن العصا قرعت لذى الحلم"[4]، ويضرب لمن إذا نبه انتبه ، وقوله:

ويفــتحُ مِــنْ مُدَّاحــهِ باللُّهــا اللِّهــا وقدْ حالَ منْ دونِ القريضِ جَريضُها[5]

البيت مأخوذ من المثل "حال الجريض دون القريض "[6] ،ويضرب فى فرار الجبان وخضوعه.

وقوله فى مدح القاضى الفاضل :

أبصرتُ قُسَّاً فى الفصاحةِ معجزًا فعرفــتُ أنّــى فــى فَهاهــةِ باقِــلِ[7]

---

(1) الديوان ص237.
(2) جمهرة الأمثال 579/2 وانظر : مجمع الامثال للميدانى 554/1 ،وقصص العرب 342/1.
(3) الديوان ص252
(4) جمهرة الأمثال406/1
(5) الديوان ص272
(6) جمهرة الأمثال 1/ 359
(7) الديوان ص341

openkan.com

الشطر الثانى مأخوذ من المثل " أعيا من باقل "[1] ، وباقل:اسم رجل يضرب به المثل فى العى ، وقوله فى إعادة الغرفة التى أخذت منه بعد منافرة بينه وبين الصوفية :

عُـــدْ،وارضَ عـــنْ أهـــلِ الـــرِّبا طِ وأرضهـــــمْ،فالعَوْدُ أحمـــــدْ[2]

الشطر الثانى مأخوذ من المثل "العود أحمد"[3] ، ويضرب لما ينال بالمشقة ويوصل بالتعب .

وقوله فى مدح السلطان صلاح الدين :

ســواكَ لسـهمِ العُلـى لـنْ يريشَـا فنسـألُ ربَّ العُلـى أنْ تعيشَـا[4]

الشطر الأول مأخوذ من المثل "قبل الرمى يراش السهم "[5] ،ويضرب للاستعداد للأمر قبل حلوله .

والحق أن الأمثال التى اقتبسها العماد متنوعة[6]، ليست مركزة على ميدان معين، فكان شاعرنا يسوق المثل فى مكانه المناسب حينما تستدعيه الضرورة ،ويليه الموقف المعاش، مما يدل على فهمه لضرب المثل ،وما يحققه من غايات فى توضيح أفكاره، فكثيرًا ما كان يوظف المثل مكتفيًا بالتلميح أو الإشارة إليه ،ما دام يبقى للمثل من روح وإشعاع ،ويساعد فى بناء الصورة ،وفى استخدامه للأمثال فى خطابه الشعرى ما يؤكد أن عمله هذا ما هو إلا تفاعل نصى يذوب فى نصه النصوص القديمة ويعيد تشكيلها من جديد مع الابقاء على بعض معالمها التركيبية والدلالية.

---

(1) جمهرة الأمثال 72/2 ، وقصص العرب 344/1
(2) الديوان ص121
(3) الميدانى 663/1
(4) اليوان ص242
(5) الميدانى 2/ 491، انظر ط البابى الحلبى ، 1979م
(6) انظر: نماذج أخرى للأمثال ص430،419،368،349،341،328،305،299،216، 142

وهكذا كان الموروث رافدًا من أهم الروافد التى استقى منها شاعرنا صوره، فالصورة التى استلهمها الشاعر من التراث أو القصص القرآنى أو الأمثال ،لم تكن تأتى عن تكلف أو تصنع،وإنما كانت تستثار من خيال الشاعر ،بقوة الانفعال ، ثم تسقط فى شعره.

(2) **الطبيعة**:

كان العماد فى تصويره ثاقب النظر ،مرهف الحس،فقد ابتكر صوراً حية وطورها ومزجها بشعوره وفكره ،فسلط أضوائه على كل ما يدور حوله فى الحياة ، فاستلهم كائنات الطبيعة الحية والصامته والصناعية ، ووجد فى ذلك مادة خصبة ومعينا قويا لاينضب لصوره "فالشعر تجربة الانسان فى البيئة والزمان والمكان . التى يعيش فيها ،وفى علاقتها بسائر الموجودات الأخرى"[1].

فشاعرنا قد اهتم بعناصر الطبيعة المتنوعة ،مثل الروض،والزهر،والرعد، والبرق، والنجوم، والبنفسج، والمطر، والسحاب والغيم، وفصول السنة، والبساتين، والورد، فإن عناصر الطبيعة كثيرة ومتنوعة "فالطبيعة مصدر إلهام الشعراء ،يأوون إليها متأملين ظواهر الكون والحياة ،ويفزعون إليها مستلهمين وحى الشعر"[2].

وقسمت الطبيعة إلى ثلاثة أنواع : الطبيعة الصامتة والطبيعة الحية ثم الطبيعة الصناعية ،ولهذا فإننا سوف ننتخب منها ،ما يدل على ذوق الشاعر، ويكشف عن نفسيته ،ويجلى أعماقه.

أولا : الطبيعة الصامتة:

اهتم شاعرنا بالروض اهتمامًا كبيرًا ،فكانت الرياض مرتعًا خصبًا يجد فيها الشاعر نفسه،فقد أبدع الشاعر فى وصف روضة لم ترع من قبل وزهرها الأبيض مشرق،وبنفسجها كثير وغزير مثل شعر العارض ونرجسها تسحر الناظر،وثغر

(1) د.حفنى شرف:الصور البديعية بين النظرية والتطبيق ص67 ،مكتبة الشباب ،القاهرة، ط1,1966م.
(2) عوض على الغبارى : شعر الطبيعة فى الأدب المصرى (القرن الرابع الهجرى) ص3 ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،2006م.

الأقاحى بها مبتسم ،وسقوط الندى منها يشبه اللآلىء ،ورؤيتها تسر القلب والناظر يقول :

ومـــا روضـــةٌ أُنُـــفٌ نَـــوْرُها ... لناظـــرٍ ذى طـــربٍ ناضِـــرُ

بنفسجُـــها عـــارضٌ مُعْـــزِرٌ ... ونـــرجسُها ناظـــرٌ ساحِـــرُ

فثغـــرُ الاقـــاحى بهـــا باســـمٌ ... ووجـــهُ الأمـــانى لهـــا ناشَـــرُ

كـــأنَّ سقيـــطَ النَّـــدى بينـــها ... لآلـــىءُ ، ينثُـــرُها ناثِـــرُ

بأحســـنَ مـــنْ روضِ أشعـــارِه ... وقـــدْ جادَهـــا فضـــلهُ الماطِـــرُ

تقـــرُّ بقُربـــكَ ،لابَـــلْ يقِـــرُّ ... برؤيتـــكَ القلـــبُ والناظِـــرُ [1]

ويصورها الشاعر بنورها الزاهرات بأنها عصافير تغرد فوق غصون الطيور:

مـــا ريـــاضٌ بنَوْرِهـــا زاهـــراتٌ ... غـــرَّدتْ فـــى غُصـــونهنَّ الطُّيـــورُ

كُـلُّ غُصـنٍ عليـهِ مـنْ خلـعِ النَّـوْ ... رِ رداءٌ ضـــافٍ ووشـــى حَـــبيرُ

وُرْقُهـــا فـــى منـــابرِ الأيـــكِ منهـــا ... واعظـــاتٌ مـــنْ شـــأْنِها التّـــذكيرُ [2]

ويصور الروض الأنيق بأنه كتاب والأشجار فيه كأنها سطور :

وكـــأنَّ الـــرَّوضَ الأنيـــقَ كتـــابٌ ... وكـــأنَّ الأشـــجارَ فيـــه سُطـــورُ

أشـبَهَ الشِّـرْبُ فيـهِ شـارِبَ أَلْمَـى ... أخضـرُ التّبْـتِ والرُّضـابُ نميرُ [1]

ويصف أيضًا الروضة بأنها مرهوبة الثرى ، مصنوعة الأسحار طيبة الفصل ، تطيب شمائلها،أنفاسها تشفى كل عليل ،وتهب ريح الصّبا بالليل على زهر متبل ، وثغور الأقحوان مبتسم ، وتحدق النظر فى نرجسها النُّجل :

---

(1) الديوان ص167.
(2) الديوان ص179.
(3) الديوان ص180

ومـا روضـةٌ عنـاءُ مرهوبـةُ الثّـرى ... مُضـوَّعةُ الأسـحارِ طَيِّبـة الفصـلِ

شمائلُـها طابـتْ، وطـابَ شمالُهـا ... سـقتها شَـمُولاعندَ مجتمـعِ الشّـملِ

تُـردِّدُ أنفـاسَ النَّسـيمِ عليلـةً ... عليهـا ،فيشـفى مرُّهـا كـلَّ معتـلِّ

تهـبُّ الصِّـبا فيهـا بليـلٍ بليـلةً ... علـى زهـرٍ مـنْ عـبرةِ الطّـلِّ مبتـلِّ

لهـا مـن ثغـورِ الأُقحـوانِ تبسـمٌ ... وتنظرُ عن أحداقِ نرجسها التُّجلِ[1]

ويقول فيها أيضاً :

مـاروضـةٌ غَـنّـاءُ حاليـةٌ ... وشْـيًا تُحلِّيـه يـدُ الرَّقـم

فعـرائسُ الأغصـانِ قـدْ جُليَـتْ ... فـى زهرِهـا بالوشـى والوسـم

وتمايلـتْ أزهـارُها سحـراً ... بنسـيمهِ المتمـارِضِ النَّسـم

فلكـلِّ نـورٍ نـورُ ثاقـبةٍ ... ولكـلِّ ناجمـةٍ سـنًا نَجْـم

دُرَّانِ مِـنْ طـلٍّ علـى زَهَـر ... يـا حُسـنَهُ نَثْـراً عملـى نَظْـمِ![2]

ويصف الشاعر الممدوح بأنه هام فى الروض ما بين مذهب ومحوه فالروض من حلل الربيع أنيق ،ومن حلى الشقائق مزد:

هـامٍ يظـلُّ الـرّوضُ مـنْ أمواهـهِ ... فـى الزَّهْـرِ بـينَ مُذَهَّـبٍ ومُمـوَّهِ

فـالرَّوضُ مـنْ حُلَـلِ الرَّبيـعِ أنيقـةٌ ... والـرَّوضُ مـنْ حَلْـى الشّـقائقِ مُـرْدِهِ[3]

ويشبه الروض بالنعامى [4]:

كـأنَّ نُعامـاها تبـلّعُ نحونـا ... تحايـا قرأناها على ألسنِ الرُّسلِ [5]

---

(1) الديوان ص359- 360
(2) الديوان ص401
(3) الديوان ص450
(4) النعامى : ريح الجنوب
(5) الديوان ص360 ، وانظر ص280

واهتم الشاعر بالزهر، فوصفه والتفت إليه ، فهو هامى الرباب ،وحريره يعم أعلى التلال ، والطل الخفيف ينزل فيه منتظمًا كالدر بين نثيره:

وما زهرٌ هامى الرَّبابِ يحوكُهُ تعمّمُ هاماتِ الرُّبى بحريرهِ

كأنَّ سقيطَ الطَّلِّ فى صفحاتهِ سحيرًا نظيم الدُّرِّ بينَ نثيرهِ [1]

ويقول فى أزهار دمشق بأنها جميلة ومونقة ، والعيون لها ناظرة والقلوب مفتونة :

أزهارُها أبداً فى الرَّوضِ مُونقةٌ فُحسْنُ نيْسان موصولٌ بتشرينِ

وأىُّ عينٍ إليها غيرُ ناظرةٍ وأىُّ قلبٍ عليها غيرُ مفتونِ [2]

ويصف الزهر بأنه ما بين تفويف وتزيين ، وغناء بلابل الأيك:

أهوى مقرِّى "بِمقْرَى "والرّياضُ بها للزَّهرِ ما بينَ تفويفٍ وتزيينِ

هاجتْ بلابلَ قلبى المستهامِ بها بلابلُ الأيكِ غنتنا بتلْحِينِ [3]

ويصور لنا البنفسج فى لوحة جميلة ،فيمتزج ورد البنفسج من الكافور، فيكسو ربيع الحسن روضهم ويزيد الحرير حريرا ويصفه بأنه معنبر الصدغين ،والبدر الذى يضىء الظلام:

وبدا البنفسجُ بينَ وردِ خدودهم غضَّاً فمازجَ وردُها الكافورا

فكسا ربيعُ الحُسنِ روضَ جمالهم من نورهِ فوقَ الحريرِ حريرا

ومعنبرُ الصُّدغينِ ضَم عذاره فى عارضيهِ إلى العبيرِ عبيرا

بدرٌ به كلفُ العبادِ، فيالهُ عجباً فقدْ شابَ الظّلامُ النورا [4]

---

(1) الديوان ص221
(2) الديوان ص433
(3) الديوان ص433
(4) الديوان ص162

ويتعانق البنفسج مع النرجس النضر ،فى قوله:

اذا قـادنى للنّـرجسِ النّضـرِ ناضـرٌ تـلاهُ عـذارٌ للبنفسـجِ مُخْتَـطُّ[1]

وقوله عن البنفسج بأنه خال للعذار:

وللبنفسـجِ خـالٌ للعـذارِ إذا ما الخطُّ بالخالِ حاكى عطْفةَ النُّونِ[2]

ويتعانق أيضا الورد مع البان ، فى قوله :

وللـوردِ خـدٌّ للحيـاءِ مُـوَرَّدٌ وللبـانِ قَـدٌّ جيـدُهُ أبـدًا يَعْطـو[3]

ويصورعفو المدوح بالورد، والجناة جناته ، وبيضه شوك للعدو:

وعفـوكَ وَرْدٌ والجنـاةُ جُنائُـهُ وبيضُـكَ شـوكٌ فـى العـداةِ لهـاحَرْطُ[4]

ويصور لنا أيضًا خد المدوح بالورد وقوامه بالغصن:

وردُ خـدٍّ نـدٍ وغُصـنُ قـوامٍ ذا جنـىٌّ غـصٌّ وذلـكَ ناعـمْ[5]

وعين المعشوق تغار من تقابل النرجس بالورد:

يقابـلُ منـه النَّـرجسُ الـوردَ مثلمـا رأتْ وجنـةَ المعشـوقِ عـينُ غيـورِهِ[6]

ويتعانق الثلاثة الأخوة فى بيت واحد فى غزل المدوح:

وللـوردِ خـدٌّ بالبنفسـجِ معـذرٌ ونرجسـهُ طـرفٌ رنـا بفتـورِهِ[7]

وقوله متغزلا بممدوحه:

أقـاحٍ وآسٌ ووردٌ لهـا اجـ تمـاعٌ علـى غُصـنٍ أَهيـفِ[8]

---

(1) الديوان ص280
(2) الديوان ص434
(3) الديوان ص280
(4) الديوان ص281
(5) الديوان ص367
(6) الديوان ص221
(7) المرجع السابق
(8) الديوان ص303

وقوله عن الورد أصبح خداً من التوريد ،والغصن قد من اللين :

والـوردُ خـدُّ مـنْ التّوريـدِ فـى حَجـلٍ والغُصـنُ قـدُّ تثنّيـهِ مـن اللِّـينِ [1]

ويصورالشاعر لنا الأقحوان وأزهاره كأنها ياسمين :

تبسّـــمَ درُّهـــا عـــنْ أُقحـــوانٍ وأزهـــر وردُهـــا فـــى يـــاسمينِ [2]

وثغور الأقحون كالغانيات الحسان ،والنرجس كعيون المها :

للأقحُـوانِ ثغـورُ الغانيـاتِ كمـا للنَّرجسِ العَصِّ الحاظُ المها العينِ [3]

ويصور لنا الورد فى إحدى دوبيتاته ،و يتسأل :

الـوردُ علـى خـدِّكَ مَـنْ أنبتَـه والمسـكُ علـى وردِكَ مَـنْ فتّتَـه

والقلـبُ علـى نأيـكَ مَـنْ ثبتَـه أجمـعَ شمـلاً هـواكَ قـدْ شتّتَـه [4]

ويقول عن الآس فى إحدى دوبيتاته ، وهو يسأل ويتعجب :

الآسُ علـى وردِكَ مَـنْ سـيّجَهُ والقلـبُ علـى وجهـكَ مَـنْ هيّجَـهُ؟

أفـدى بـأبى حُسْـنكَ مـا أبهجـهُ مَـنْ أعجَبَـهُ الوصـلَ فمـا أزعجَـهُ![5]

لقد كانت الثمار من المصادر التصويرية لدى العماد ، واستطاع أن يوظفها توظيفًا جيدًا داخل نسيجه الشعرى ،فمن هذه الثمار :المشمش والأترج ،والتفاح، له رباعية فى وصف المشمش ، يقول فيها:

المشـــمشُ لانتظارنـــا مصـــفرٌ والـــرَّوضُ إلى لقائنـــا مفتـــرُ

قُـمْ نَعْتَـنمَ الوقـتَ ،فهـذا العمـرُ لا لبـثَّ لـه فمَـنْ بـهِ يغتـرُّ [6]

(1) الديوان ص434
(2) الديوان ص432
(3) الديوان ص434
(4) الديوان ص98
(5) الديوان ص106
(6) الديوان ص168

ونحن بصدد صورة فنية رائعة لوصف المشمش ، يشبه الشاعر المشمش بنجوم الأرض فوق الغصون ، حيث وجناتها محمرة من كثرة النضج ،ومن يرها يحبها ويعشقها ،وأصبحت أوراق غصونه كأنها كرات الذهب فى فضة مطرقة ،وتتساقط أشجارها كالدنانير فى أيدى الصراف :

كـأنَّ نجـومَ الأرضِ فـوقَ غُصـونهِ ... فيـا حيرتـى مـن نجـةِ المتألِّـقِ

وجَنّاتُهـا محمّـرةٌ وجـنـاتُها ... فمَـنْ يرَهـا مِثْلـى يُحـبَّ ويُعشـقِ

بَـدَتْ بـينَ أوراقِ العُصـونِ كأنَّهـا ... كـراتُ نُضَـارٍ فـى لجـينٍ مُطـرَّقِ

تُساقِطُهـا أشجارُهـا فكأنّهـا ... دنـانيرُ فى أيـدى الصَّيارفِ ترتقى

ومشـمشُ بُسـتَانِ الزّكـى بشـهدِهِ ... شـهادتهُ تقضـى فَـرَكٌ وصَـدِّقِ[1]

ولـه لوحـة فنيـة أخـرى لوصـف المشمش ،يصـور فيهـا المشـمش بالدميـة التـى يرشف منها الخمر والعسل ، وأنه مصور بل مدور الحجم ،عجيب جامد كالشعلة ، ولـه فـى قلـوب الأشـجار جـذوة والغصـون كلـى ، حيـث طلـوا ظـاهره بمـاء الـذهب وباطنه بالنار ، تختفى عندما تنظر إليها ويظهر منها النوى ، فهى مثل حُلى الذهب على الأغصـان ، حمـر حسـان الوجـوه ، وأوراقهـا الخضـراء لبسـت الحلـى ،وكأنهـا عرائس ظهرت من جذورهـا وحلاوة لا يمل الأكل منهـا ، فهى زهر كنجوم السماء ، وقطفها يجن الجناة ، ولها عيون جاحظة تراقب الناس :

أمضـــى إلى دُميـــةٍ مُقَّبلُـــها ... أرشـــفُ منـــه المـــدامَ والعـــسَلا

مُصـــوَّرٌ ،بَـــلْ مُدورٌ،عَجَـــبٌ ... تـــرى بـــهِ ،وهـــو جَامـــدٌ شَـــعَلا

ففـى قُلـوبِ الأشـجارِ منـهُ جُـذاً ... وفـى ظُهـورِ العُصـونِ منـهُ كُـلَى

طَلُـــوا بمـــاءِ النّضـــارِ ظَاهـــرَهُ ... لبـــاطنِ فـــى حشـــاهُ نـــارُ طَـــلا

---

(1) الديوان ص317

تخفـى اذا مـا بَـدَا لعينـكَ فـى فيـكَ ،وفيـهِ النَّـوى إذا وَصَـلا

حُلـىٌّ تـبرٍ علـى عَرَائـسَ أغـ صـانٍ تشـكتْ مِـنْ قبلـها عطـلا

حُمـرٌ حسـانُ الوجـوهِ قَـدْ لبسـتْ مـن حُضْـرِ أوراقهـا لهـا حُـلَلا

عَـرَائسٌ مِـنْ خـدورِها بَـرَزتْ تحسـبُ أشـجَارَها لهـا كِـلَلا

حَـلاوةٌ لا يَمـلُّ آكلُـها إذا الحـلاواتُ أحـدثتْ مَـلَلا

زهـرٌ كشُـهبِ السَّـماءِ راجمـةٌ حِـنَّ جُنـاةٍ بقَطْـفِهَا كَفَـلا

عيونُهـا الرُّمـدُ فـى ترقبنـا جَاحظـةٌ أبـرَزَتْ لنـا مُقَـلا [1]

وفى " الأترج " يقول العماد ثمرة صفراء بعد خضرة ،ولم يعرف لونها :

وأُترجَّـةٍ صـفراءَ لم أدْرِ لونَـها أمَـنْ فَـرَقِ السِّكينِ أَمْ فُرقـةِ السّكنْ ؟

بحـقٍّ عَلَتْهـا صـفرةٌ بعـدَ حُضـرةٍ فمـنْ شَـجَرٍ بانـتْ وصَـارتْ الى شَـجَنْ [2]

ويصور" التفاح " بأنه ورد الحياء :

وردُ الحيـاءِ جَنـى فـى ذلـكَ التُّفـاح [3]

وقوله فى " النسيم " :

وبعثْـتُمْ نسـيمَكُمْ يتَلافَـا نـى ،فعـادَ النّسـيمُ مِـنْ عُـوّادى [4]

(1) الديوان ص 330، 331
(2) الديوان ص404
(3) الديوان ص115
(4) الديوان ص124

obeikan.com

ويصور" النسيم "بالريح الطيبة ،والبرق بالضياء :

يـــــدلُ نســـــيمَكُمْ بالأريـــــج علـــيكُمْ وبـــرقكُمْ بالسَّـــنَا [1]

وقوله :

أهْـدَى النَّسـيمُ لنـا رَيّـا الرَّيـاحين أمْ طيـبَ أخلاقُ جيرانـى "بحيرون"

هبّـتْ لنـا نّفْحـةٌ فـى جِلِّـقِ سَحَـرًا باحَـتْ بسرٍ مـنْ الفـردوسِ مكنـونِ

وفـاحَ بـالعَرْفِ مـنْ أرجَائِهـا أرَجٌ نـالَ المسّـرَّةَ منـه كـلُّ مَحْـزونِ

هبّـتْ تُنبِّـهُ أطْرَافـى وتبعّثُهـا منـى وتوجـبُ للتّهـويمِ تهوينـى [2]

ونرى "النسيم " مولع بالغدير ما بين تفريك وثنى وجعد:

وللنَّسـيمِ ولـوعٌ بالغَـديرِ فـما يـزالُ مـا بـينَ تَفْرِيـكٍ وتَعْضـينِ [3]

واهتم الشاعر "الماء" الذى يستقى منه صوره ،ويصفه بالماء العذب الصافى لورديه:

صَـــفَا وِردُ الـــزُّلالِ لورديـــهِ ومثلـى لـيسَ يظفـرُ بالأُجـونِ [4]

ويصف الماء بالريح التى تهب بين الصبا والشمال فى حلق الردع منسوجة بالدر والجواهر :

والمـاءُ مِـنْ نَكبـةِ النَّكبـاءِ فـى زَرَدٍ مُضَاعفِ السَّردِ ضافى النَّسجِ مَوْضُونِ[5]

ويصف وجه ممدوحه بالماء الشباب المزين ، فلم تغيره السنون :

وأُولـو وجـوهٍ بـلْ صُـدورٍ مـنْ نَـدى مـاءِ البشاشـةِ والسَّـماحةِ مُـوَّهِ

---

(1) الديوان ص405
(2) الديوان ص431
(3) الديوان ص434
(4) الديوان ص425
(5) الديوان ص434

عَـدُبَتْ مـوارِدكُمْ وطَابـتْ للـورَى وصَـفَتْ ،فلـمْ تأْسَـنْ ،ولم تَتَسـنّهِ [1]

كـان "الـبرق والرعـد" إحـدى الظـواهر الكونيـة التـى اتخـدها الشـاعر مصـدرًا لصوره، يقول فى مدح السلطان صلاح الدين:

وموعـــدُها رعْـــدُها المستطيـــلُ وواعْـــدُها بَرْقُـــها المستطـــيرُ [2]

وصورة أخرى :

أقَنعْـتَ مَـنْ بَـرْقِ الحِمَـى سَحَـرًا ونســـيمهِ بالشّـــيمِ والشَّـــمِ [3]

ويقف الشاعر أمام "النجوم" ، فيشكل منها العديد من صوره ، فرأى ممدوحه ينزل النجوم من الأبراج العالية :

فرأيـــــكَ يستـــــنزلُ النُّـــــ ـــــجومُ مِـــــن الأبـــــرجِ [4]

يشبه الممدوح بالنجوم الزهر :

كشـموسِ الضُّـحى كمثـلِ بـدورالـ تمِّ ،كالسُّـحبِ ،كـالنُّجومِ الزُّهـرِ [5]

صورة طلوع البدر التم فى النجوم الزهر :

وقـدْ أقبلـتْ نُعْـمٌ أترابُهـا كمـا تطلّـعَ بـدرُ التمِ فـى الأنجمِ الزُّهـرِ [6]

ويقول أن النجم منزله:

النَّـــجمُ منزلُـــهُ، ومنزلُـــهُ للـوحى منـزلُ "سـورة النَّـجم" [7]

واهتم شاعرنا بـ " المطر"؛ ليشكل منه العديد من صوره ،ولكنه فى استخدامه للمطر ،لم يقف أمام مرادف واحد من مرادفاته ،بل تجده يستخدمه بمرادفات

---

(1) الديوان ص450 وانظر :ص257
(2) الديوان ص190
(3) الديوان ص396
(4) الديوان ص 104
(5) الديوان ص 201
(6) الديوان ص 206
(7) الديوان ص 398

كثيرة ،كالغيث ،والعهاد ،العهد ،المزن ،الولى، السحاب ونتيجة لتكرار صورة المطر لدى الشاعر ،أصبح معادلاً رمزيًا للكرم والسخاء والعطاء بلا حدود ،وهكذا تتنوع صور الموضوع الواحد ،وكأن كل صوره تعبر عن موقف نفسى معين .

وباستعراض بعض صور المطر فى شعره ، يمكن أن نجد تنوعًا فى استخدام الموضوع وتوظيفه ، فالشاعر يستخدم مثلا "الغيث" ؛ ليعادل به كرم الممدوح ،وذلك فى قوله :

لئِـــنْ مَـــنعَ الغيـــثُ عـــنْ ذورةٍ فغيـــــثُ فضـــــائلهِ زائـــــرُ [1]

وقوله:

ولفـــحُ العـــارضِ الـــسارى دليـــلٌ مـــن الغيـــثِ المُلـــثِّ علـــى انهمـــار[2]

ويصف بممدوحه بالمطر فى بث العطايا ، وبالليث فى هروب الجيش الكبير:

فهـــو الغيـــثُ اذا بَـــثَّ اللُّهـــا وهـــو اللَّيـــثُ اذا فَـــلَّ اللَّهامـــا [3]

وقوله:

ســـقى اللّهُ العـــراقَ وساكينـــهِ وحيـــاةُ حيـــا الغَيْـــثِ الهتـــونِ [4]

وفى صورة يعادل الشاعر فيها كرم الممدوح بصوب العهاد :

أيـــنَ أحبـــابى الكـــرامُ ، سَـــقَى اللـــ ـهُ عُهودَ الأحبـــابِ صَوْبَ العهـــادِ [5]

وقوله:

ومـــا هـــامرٌ هـــامٍ مـــنْ الـــوَدقِ إنْ بكـــى تبسَّـــمَ مرهـــومُ الرِّيـــاضِ أريضُـــها [6]

---

(1) الديوان ص166
(2) الديوان ص197
(3) الديوان ص374
(4) الديوان ص423
(5) الديوان ص124
(6) الديوان ص273

obeikan.com

وصورة أخرى يعادل فيها جود الممدوح بالمطر والجود والبحر والطود :

غيـــثُ غيـــاثٍ ،وجـــودُ جـــودٍ وبحـــرُ علـــمٍ، وطـــوْدُ حلـــمِ[1]

ويعادل جود الممدوح بالمزن :

ومُـــزْنُ مـــَنٍ ،ووجـــهُ مـــنحٍ غـــيرُ جهـــامٍ، وغـــيرُ جهـــمِ[2]

وقوله :

إنّـــا لأصْفِـــى و أجـــدى فـــى الخـــيرِ وِرْداً ومُـــزْنا[3]

ويعبرعن المطر "بالسحاب" ؛ ليعادل به سخاء الممدوح :

لضريحهِ سُقيا السَّحابُ ، فإنْ يغبْ تحضَـرْ لرحمـةِ ربِّـه سَقْيانُـهُ[4]

تعد "فصول السنة" أحد المصادر التصويرية عند العماد ،ذكرها الشاعر فى أبيات معدودة ولم يكثر منها ،وتدل على رمز العطاء والخير وكان من الطبيعى أن يتخذها مصدرًا لصوره الفنية ،فيقول عن فصل الشتاء وهو يخاطب ممدوحه :

أيـــا شـــرفَ الدّيـــنِ إنَّ الشّتـــا بكافاتـــهِ كـــفَّ آفاتـــهِ

وكفـــكَ مِـــنْ كـــرمٍ كافُهـــا لقَـــدْ كَفَلّـــتْ لى بكافاتـــهِ[5]

وقوله عن الموت فى فصل الشتاء من البرد :

أَوَمـا مـاتَ فـى الشِّـتاءِ مـن البر دِ ومِـنْ فَـرطِ جُوعـهِ إكديشـى[6]

وقوله عن كرم الممدوح :

وأمَا الشّتاءُ وكافاتهِ وكفُّـكَ عـنْ كفِّـهِ الرابـعَهْ[7]

---

(1) الديوان ص388
(2) نفسه
(3) الديوان ص407
(4) الديوان ص89 * الديوان ص96
(5) الديوان ص245
(6) الديوان ص294
(7) الديوان ص318

وتتعانق صورة الشتاء مع الصيف فى بيت واحد :

كـرامٌ وثـوقى فـى الشِّـتاءِ بـودِّهمْ ولكنّهُمْ فى الصّيفِ يَنْسونَ موثقى[1]

أما فى فصل الربيع فتزدهر الأنوار:

رويـتْ بأنْـوَاءِ العهـادِ عهـودُهُ وزهـتْ بأنـوارِ الرَّبيـعِ ربوعُـهُ[2]

يصور لنا نسج الربيع بأنها نمارق الزهر :

يُحـوكُ نَسْـجَ الرَّبـيعِ فيـه نَمـارقَ الزَّهـرِ فـوقَ أكَـمِ

ومن الصور الجميلة التى استخدمها الشاعر فى الديوان هى جمع عناصر الطبيعة فى بيت واحد، وذلك فى قوله:

أقمـارُهُ وشمـوسُهُ ونجـومُهُ وبحـارُهُ وجبـالُهُ وبطاحُـهُ [3]

كما جمع بين مصادر الطبيعة فى بيت واحد ، حيث رقة النسيم ، وروق الزهر، نضارة الروض :

وأيـنَ نظـرتَ نسـيمٌ يَـرِقُّ وزهـرٌ يَـرُوقُ ، وروضٌ نَضِيـرُ[4]

ومن عناصر الطبيعة " النار" ، التى تسهم فى تشكيل صورة الحياة على الأرض ، وقد استلهمها الشاعر فى تشكيل بعض صوره الشعرية ، استخدمها شاعرنا فى غزل الممدوح بأن نار الصبا شعل وماء الحياة ندى :

علـى مُحيّـاه مِـنْ نـارِ الصِّـبا شُعَـل وَوَرْدُ خَدَّيـهِ مِنْ ماءِ الحيـاةِ نَـدى [5]

ويصور الوجد فى الأحزان كامن ،والنار فى العود الذى يقدح به:

والوجـدُ فـى الأحـزانِ كامنـةً عنـدى خـلافُ النَّـارِ فـى الزَّنـدِ[6]

---

(1) الديوان ص395
(2) الديوان ص390
(3) الديوان ص113
(4) الديوان ص189
(5) الديوان ص137
(6) الديوان ص 131

وصورة أخرى للممدوح توضح ماذا تجنى قلوبنا بعد الذهاب إلى النار؟ وذلك فى قوله :

مــاذا جنــتْ قُلوبَنــا حتــى غــدا فـى النَّـارِ مِـنْ شـوقكُمْ خلودُهـا؟ [1]

وهكذا استطاع العماد أن يوضح لنا بعض النماذج المنتخبة ، لعناصر الطبيعة الصامتة ،التى شكلت موقفه النفسى ،وأماطت اللثام عن ذوقه ، وأسهمت بقدر معين فى تشكيل صورته الشعرية ،إلا أن هناك نماذج ومصادر أخرى لم نقف عليها مثل : الليل[2] والنهار[3]، السماء[4]والشجر [5]، والأرض[6] ، والغلاة [7] والريح [8]، والبحر[9].

ثانيا :الطبيعة الحية :

لقد مثلت الطبيعة الحية للشاعر منهلا عذبًا يغترف منها أشعاره ويستقى منها صوره ، فكانت حقلاً خصبًا لعدد كبير من صوره الشعرية ، وهى متمثلة فى الطيور الأليفة والطيور الجارحة والحيوان.

فمن الطيورالأليفة عند الشاعر "الحمام" حيث صور نوحه بالمآتم ، فى قوله :

فبِشَــدْوِ الغِنــاءِ للــوُرقِ أعــرا سٌ وبــالنَّوحِ لِلحَمــامِ مآتــمْ [10]

وغناء هديل الحمام فوق الأغصان المتدلية لثقل الثمر :

مرجعــةٌ فــوقَ العُصــونِ حمامُهَــا فنـونَ هديلٍ بـينَ أفنانِـها الهُـدْلِ [11]

---

(1) الديوان ص143
(2) الديوان ص276،219،204،172،111،108
(3) الديوان ص 237،231،195 (6) الديوان ص262،174،144،112،305
(4) الديوان ص247،434،280،189،171،153
(5) الديوان ص317،234،231،170،169،153،127
(6) الديوان ص352،242،206،186 (10) الديوان ص352،305،218
(7) الديوان ص348،342،340،195،157
(8) الديوان ص369
(9) الديوان ص360
(10) الديوان ص433
(11) الديوان ص443

وهى فى الأشجار تمثل أدعية مرفوعة:

وللحَمّـائِمِ فـى الأسْـحَارِ أدعيـةٌ مرفوعـةٌ شُـفِعَتْ مِنّـا بتأْمِـينِ

وفى الحسن يتذكر صغار الطاووس :

ومتـى تذكـرُ فـى الحُسْـ ـنِ مـع الطّـاووسِ صَعْـوَهْ

ومن الطيور أيضا "العصافير" حيث يصورها فى صورة العصفور الضعيف الذى يقع فى قبضة الصقر القوى ، فإن القلوب والعيون الحسان مثل العصافير فى قبضة الصقور :

إنَّ القلـوبَ وألحـاظَ الحِسـانِ بـها لكالعصـافيرِ فـى أيـدى الشَّـواهينِ[1]

أما بالنسبة للطيور الجارحة ، يستوقفها شاعرنا فى صورة فنية رائعة تخدم النص الشعرى ، ومنها "الصقور" حيث يصور هروب جموع الفرنج من ميدان المعركة ، كأن الصقور تقف فوقهم :

بِجـردٍ عليهـا رجَـا الهـياجُ كـأنَّ صُقـورًا عليهـا صُقـورُ[2]

ومن الطيور أيضا "النسور" ، فنرى بطون النسور أصبحت قبورًا للأعداء :

تركـتَ مصـارعَ للمشركيـنَ بطـونُ القَشّـاعمِ فيهـا قُبـورُ[3]

وقوله :

غادَرْتَهـا للنسـورِ مأكلـةً حيـثُ بأشلائِهـا تُضيِّفُهـا[4]

ومن الطيور - كذلك – "البازى" فإن جهله بالعدو أدى إلى وقوعه فى قبضة البازى فكسر جناحه :

---

(1) الديوان ص 435
(2) الديوان ص 192
(3) الديوان ص 192
(4) الديوان ص309، وانظر ص428،427

وجَنَــى عليــهِ جَهلُــهُ بوقوعــهِ فى قبضةِ البازى،فهيضَ جناحُهُ [1]

وقوله :

والسُّــودُ بــالبيضِ قــدْ أُبيــحوا فهــى بَــوَازٍ بهــم نَــوَازِلْ [2]

وقوله عن "الأجادل " وهو نوع من الصقور الجارحة ، مناجن الحافر لدى الخيل مثل أو تشبه النسر والأجادل :

والمُقْرَبــاتُ بأنْسُــرٍ وقَوَائــم تحكى قــوادِمَ أنْسُــرٍ وأجَــادِلِ [3]

ويصور لنا طائر"البغاث والأجدل" وهو يحط على الفرنج ، فى صورة يطلب من ممدوحه أن يطهر القدس من رجس الفرنج :

وطَهرْ القُدْسَ مِنْ رجسِ الفرنجِ وثبْ على البغاثِ وثوبَ الأجدلِ القَطمِ [4]

ومن الطيور أيضًا "العقبان" حيث يصور الأكراد وهم فوق الجياد مثل العقبان :

وكأنَّمــا الأكــرادُ فــوقَ جِيادِهــا عِقْبَــانُ مُلْحَمَــةٍ علــى عِقْبَــانِ [5]

وننتقل إلى مجال الحيوان ، بأنواعه المختلفة ، فكان له نصيب فى تصوير العماد فاتخذ من الخيل والحيات والأسود والعيس والذئاب والبازل والحشرات والكلب والحوت والتمساح والناقة مصادراً لصوره ،وهو فى ذلك ينتقى لكل معنى ما يناسبه من حيوان .

استخدم شاعرنا " الناقة " ؛ ليشكل منها العديد من الصور ، ولم يستخدم مرادفاً واحداً من مرادفاتها ، ولكنه نوع فى الاستخدام من مرادفاتها الكثيرة مثل :

---

(1) الديوان ص108
(2) الديوان ص325
(3) الديوان ص 348
(4) الديوان ص382
(5) الديوان ص 414

النغوض ، النضو ، الصوار ، المها ، الطَّلا ، الهوجاء ، الرشأ ، واستطاع أن يوظفها توظيفاً فنياً رائعاً .

يقول فى مدح الخليفة المستضىء بالله :

أيـــامَ لا رَشَـــئى يعتـــادُهُ مَلَـــلٌ ولا رِشاء الصِّبا مِنْ قبضتى مَلَصَا [1]

وقوله :

بِمُهْجَتـى رشـأٌ ، قلبـى لـه قنـصٌ فيـا لـه رشـأ للأُسـد مقتنصـا[2]

اتخذ الشاعر "الرشأ" فى البيتين مصدرًا لصورته ، فى البيت الأول لا يعتاد الملل من الظبى التى تحرك ومشى .

وفى البيت الثانى ، يتغزل فى الظبى حيث هو مهجة الممدوح وقلبه له قفص، فياليته يقتنص الأسد .

وقوله يصور لنا فيه الموضع الذى رتع فيه ولد الظبية بفضل وعدل الممدوح :

ببأسكَ البيضُ والطُّلَى اصْطَبحتْ بعـدلكَ الـذِّئبُ والطَّـلا رتَعَـا[3]

ويصور الناقة العظيمة السنام فى قوله :

إليـكَ – أميـرَ المـؤمنينَ – أحثُّهـا نِياقـاً تـردَّى بالهُـزالِ نغوضُـها[4]

وصورة أخرى ينادى شاعرنا فيها على البعير المهزول الذى يسير دون سير :

أيـا راكـبَ النِّضْـوِ يُنضـى الرِّكـابَ تَسـيرُ وحَطـبُ سُـراه يَسيـرُ [5]

---

(1) الديوان ص 251.
(2) نفسه .
(3) الديوان ص 286
(4) الديوان ص 274
(5) الديوان ص186

obeikan.com

وقوله :

فلـــى ولهـــا للأنضـــاءِ شجـــوٌ حـنينٌ فـى حنـينٍ فـى حنيـنِ [1]

وصورة أخرى لإحدى مرادفات الناقة ، يمدح فيها ممدوحه ويشبه صيد الفرنج مثل صيد قطيع البقر :

وعنـــدهم مثـــلَ صَـــيْد الصـــوارِ إذا حـاولوا الفـتحَ صَـيْداً وصُـورُ [2]

وقوله :

وجائلـــةِ الوشـــاحِ رأتْ جمـــاحى علـى هوجـاءَ جائلـةِ الوَضِـينِ [3]

وقد التفت الشاعر إلى " الخيل" ونظر إليها بتفائل ، وأمل ، وطموح ويوضح لنـا مـدى براعتهـا فـى الحـرب ، وفيمـا يتعلـق بحركتهـا ، ونشـاطها ، وجموحهـا ، وضمورها ، وقوتها وسط الميدان.

فنجده – مثلا- يصف الجياد الجرد :

فـوقَ الجيـادِ الجُـردِ مـا وردتْ وغـىً إلاّ وخيـل عـدُوّها عنهـا صَـدَرْ [4]

ونجده أيضاً يهتم بعثرة جواد الممدوح :

وأقِـلْ جـوادكَ عثـرةً نَـدَرتْ لـهُ إنَّ الجـوادَ لمـنْ يُقِيـلُ العاثـرا

وتـوقَّ مـنْ عـينِ الحسـودِ وشرَهـا لا كـان ناظرهـا بسـوءٍ ناظـرا [5]

(1) الديوان ص 425 وانظر ص 440
(2) الديوان ص 192
(3) الديوان ص 424 انظر ص 228،306،442،221
(4) الديوان ص 153
(5) الديوان ص 159

obeikan.com

ويقول فى مدح أسد الدين شريكوه ، ويوضح له شكوى الخيل من إدمان الليل وهروب السيوف :

شكتْ خيولُكَ إدمانَ السُّرى وشكتْ مِنْ فَلِّها البيضُ بلْ حَطْمَها السَّمرُ[1]

وفى صورة أخرى يوضح إذا كان الشعر يحتاج إلى باعث أو إلهام فإن الخيل يحتاج إلى المهمان:

والشَّعرُ لابُدَّ لهُ منْ باعثٍ كحاجةِ الخيلِ إلى مهمازِها[2]

وقوله فى ممدوحه :

لازلتَ مستوياً فوقَ الحصانِ وفى حصنِ الحفاظِ ومَنْ عادَاكَ منتكسا

قُلْ للمليكِ صَلاحِ الدّينِ أكرمَ مَنْ يمشى على الأرضِ أومنْ يركبُ الفَرسَا[3]

وننتقل إلى "الحيات" واستخدمها شاعرنا بمسمياتها المختلفة داخل النص الشعرى ، وأصبحت أحد مصادر الصورة لديه فهى رمز للفتك والموت وتبعث فى القلب الرعب والفزع ، فنجد الشاعر يشتكى من طول الليل مثل ليل لدغة الأفعى الكبيرة :

وليلى مِنْ طُولِ ما أشتكى كليلِ اللَّديغِ مِنْ الحِرْبش[4]

وقوله فى حية الرقط التى حركت ألسنتها للنهش :

نَبا بى مَقامُ الجاهلينَ فعِفْتُهُ وقدْ نَضْنَضَتْ للنّهشِ حيَّاتُهُ الرُّقطُ[5]

---

(1) الديوان ص 170
(2) الديوان ص 226
(3) الديوان ص 228 انظر نماذج أخرى للخيل ص 234 ، 226 ، 348
(4) الديوان ص 246
(5) الديوان ص 282

obeikan.com

وفى صورة أخرى ، يشبه لين الرماح بالأفعى حيث تصرفها الأسود فى عرينها

كـــأنَّ لـــدانَ سمرهـــمُ أفـــاعٍ تُصـــرِّفها القســـاورُ فـــى العريـــنِ [1]

ويصور أنهار البساتين فى الجرى مثل الثعابين :

وللبســـاتينِ أنهـــارٌ جَدَاولُهـــا تَسْتَنُّ فى الجَرْى أمثالَ الثّعابيـنِ [2]

ويصور الماء الجارى فى التوائه بسرعة التنين :

لكـــلِّ جَـــاريةٍ فـــى كـــلِّ سَاقيـــةٍ علـــى التـــواءٍ بهـــا إســـراعُ تِنِّيـــنِ [4]

ويعد " الأسد " من أهم المصادر التى استهوت الشعراء قديماً وحديثاً فهو رمز القوة ومصدر المهابة ، وقد اتخذه العماد مصدراً لصوره فى مواضع كثيرة بالديوان ، واستخدامه بمرادفات كثيرة مثل : الليث ، الفرافص ، الضيغم ، الهزبر ، الضراغم ، القساور ، حيث يصور جنود صلاح الدين التى تنهس نحو الأعداء :

غـداةَ أسُـودُ الحـربِ مُعْتَقلُـو القَنـا أَسَاودُ تَبْغى مِنْ نُحورِ العِدا نَهْسَا [5]

والشاعر يطلب من ممدوحه سيعود أسد قوى فى طلب الفرائس ذو سطوة ، تقشعر منه الفرائص ، وهذا يدل على القوة والخوف :

سـيعودُ فـى طَلَـبِ الفـرائسِ ضيغـمٌ ذو سَـطوةٍ ، وستقشعـرُّ فـرائصُ [6]

ويصور الممدوح بالليث الذى يهرب منه الجيش الضخم :

فهـــو الغيـــثُ اذا بَـــثَّ اللُّهـــا وهـــو اللَّيـــثُ إذا فَـــلَّ اللَّهامـــا [7]

---

(1) الديوان ص427
(2) الديوان ص 433
(4) الديوان ص435، التنين : ضرب من الحيات .
(5) الديوان ص 234
(6) الديوان ص 258
(7) الديوان ص348

ويشبه الممدوح بنور البدر فى ليلة التمام ، وبطش الأسد فى هياجه :

كالبـــدرِ نُـــوراً ، والهزَبْـــرِ سَطـــاً يـــومَ الهِيـــاجِ ، وليلـــةَ التَّـــمِّ [1]

وصورة أخرى يمدح فيها نور الدين محمود بأنه غالب الملوك وصائد الأسود وفارس الفرسان ، فى قوله :

يـا غالـبَ العُلْـبِ الملـوكِ وصـائدَ الـ الصـيِّدِ اللُّيـوثِ وفـارسَ الفُرسـانِ [2]

وقوله فى مدح الوزير عضد الدين :

وبـــوادى العُـــدَيبِ أُدْمُ ظبـــاءٍ فاتكـــاتٍ لحاظُهـــا بالضراغِـــمْ [3]

فيقول يوجد بوادى العذيب ظباء بيضاء لحاظها فاتكات مثل الأسود.

وفى صورة أخرى يصور الممدوح فى صورة رائعة بجود الغيوث فى الخجل ، وبأس الليوث فى الجهجه :

يـا حلْـفَ جُـودٍ للعُيـوثِ مُخَجِّـلٍ أبـداً وبـأْسٍ بـاللُّيوثِ مُجَهْجَـهِ [4]

ويوظف الشاعر حيوان آخر "العيس" لخدمة صورته الشعرية ، يصف شاعرنا رحيل الممدوح بمرج الصفر غدوة عن طريق الإبل :

رحلنـا بمـرجِ الصُّـفرِ بـالعيسِ غـدوةً فسَارتْ وحَطّتْ فى محَجَّتها ظهرا [5]

ويخاطب حادى العيس ، ويقول له باللّه رفقاً ، فإن الطريق أورثها التعب :

أَحَـــادى عَيْســـهُمْ ، بـــاللّهِ رفقـــاً فـــانَّ السِّـــيرَ أوْرَثهـــا الكـــلالا[6]

---

(1) الديوان ص 399
(2) الديوان ص 410
(3) الديوان ص 365
(4) الديوان ص 452 ، انظر: نماذج أخرى لصورة الأسد ص 109 ، 159 ،197 182،181 ،214 ،256 ، 427 ،451.
(5) الديوان ص 156
(6) الديوان ص 332

يصور "العيس " بأن لها شقشقة القرم :

حَـــدَوْتُ عَيْســـى بهـــا فجـــاءتْ شَقْشَـــقةً مِـــنْ هَـــديرٍ قَـــرْمِ [1]

ويصور لنا وداع الممدوح ، والعيس تسرع من البرين :

عشّـــيةَ ودَّعَـــتْ ، والعـــيسُ تخـــذى نَواحِـــلَ قـــدْ بـــرينَ مِـــنْ الـــبرينِ [2]

وننتقل إلى حيوان آخر وهو" الذئب" ويستمد منه صوره فهو رمز للخسة والخيانة ، فشاعرنا لا يبالى ولا يهتم بعيث الذئاب إذا ظهر ليث قوى :

فلســـتُ أُبـــالى بعَيْـــثِ الذِّئـــابِ اذا مـــا انتحـــى لى ليـــثٌ هَصُـــورُ [3]

وقوله فى طرد الذئاب الطلس :

أقامـــتْ بغـــابِ الســـاحلينَ جنـــودكُمْ وقَـــدْ طَـــردَتْ عنـــه ذئـــابَهمُ الطُّلْسَـــا [4]

وقوله فى أن بطون ذئاب الأرض أصبحت قبوراً للفرنج ، حيث لم ترض أى أرض أن تكون لهم قبراً :

بطـونُ ذئـابِ الأرضِ صَـارتْ قبـورُهُمْ ولم تَرْضَ أرضٌ أنْ تكونَ لهم رَمْسَا [5]

وصورة أخرى يعادل فيها عدل الممدوح بعدل الذئب :

ببأسـكَ البـيضُ والطُّلَـى اصْـطَبحَتْ بعـــدلكَ الـــذِّئبُ والطَّـــلا رتَعَـــا [6]

---

(1) الديوان ص 392 ، انظر: نماذج أخرى ص 156 ، 131
(2) الديوان ص 425 ، والبرين جمع برة ، وهى الحلقة فى أنف البعير .
(3) الديوان ص 193
(4) الديوان ص 233
(5) الديوان ص 234
(6) الديوان ص 286

ويقف الشاعر أمام حيوان آخر " البازل" حيث يقيس الشاعر بين شعره وشعر آخر ، وبين البازل العود بالهزول :

وما كلُّ شعرٍ مثلَ شعرى فيكمُ ومَنْ ذَا يَقيسُ البازلَ العَودَ بالنقضِ [1]

ويصور ممدوحه بأخذ من مشرق المجد الضياء والنور ، ومن البازل كتل الشحم التى على ظهره :

إجتَلَى مِنْ مَشرِقِ المجدِ السَّنا وامتطى مِنْ بَازِلِ المُلكِ السَّنامَا [2]

ويقف أيضاً أمام حيوان آخر "الكلب" حيث يصور صوت الكلب بأنه عواء وصوت الأسد زئير ، وذلك فى قوله :

إنَّما كانَ للكلابِ عواءٌ حيثما كانَ للأُسُودِ زئيرُ [3]

ويصور أيضاً عواء كلب الفرنج من شدة الخوف :

كلبُ الفرنجِ عَوَى مِنْ خَوفِ صولتهِ وقَيْصَرُ الرُّومِ مِنْ إقدامهِ معَصَا [4]

ويحذر "الثعالب " من عدم الخلوة فى الغابة فى غياب الأسد :

قُلْ للثّعالبِ : لا تَعُركِ خلوةٌ فى الغابِ لما غَابَ عنه فُرافصُ [5]

ويصور لنا "التمساح" بالمكر والدهاء والخيانة ليكون مصدراً لصوره ، فيحذر ممدوحه بعدم الإطمئنان للتمساح لأنه ممكن أن يبتلع الإنسان فى أى لحظة ، وأن يختار ولى أو صديق لديه ضمير صاح :

وقرِّبْ وليّاً صَحَّ فيكَ ضميُرهُ ولايأْمَنِ التمساحَ مَنْ دأبُهُ السَّرطُ [6]

---

(1) الديوان ص 268، البازل : الجمل فى تاسع سنيه . العود : المسن والنقض : المهزول من السير ناقة أو جملا .
(2) الديوان ص 375
(3) الديوان ص 182
(4) الديوان ص 254
(5) الديوان ص 258
(6) الديوان ص 282

ويصور لنا " الضفدع " فى الخفة والحركه والإنتقال بسرعة من مكان لآخر، حيث يشبه قطع رأس العدو كالضفدع الذى يعطس فى الماء :

وغاصَ إذْ طَارَ ذاكَ الرأْسُ فى دمهِ كأنّهُ ضفدعٌ فى الماءِ قدْ عَطَسَا [1]

وينتخب لنا " الحوت " فى القوة والفتك والصلابة ، حيث يصور الجيش الكبير بالبحر، والفرسان بالحيتان ، والقائد بالتمساح :

مَجْرٌ كبحرٍ، دَارِعو فرسانهِ حيتانُهُ وزعيمهُمُ تِمسَاحُهُ [2]

وقوله فى مدح عز الدين فروخ شاه ، فيصور جيش الممدوح بالبحر الزاخر ويلبسون دروعا قوية مثل الحيتان :

قَدْ كانَ جيشكُمُ كبحرٍ زَاخِرٍ واللابِسُونَ جواشناً حيتانُهُ [3]

ففى قوله " واللابسون جواشنا حيتانه " صورة تدل على القوة والصلابة .

ومن الصور الجميلة التى تتسم بالخفة والدعابة ، يقول العماد : اقترحوا علىَّ فى اسم بلق ، وهو اسم فرس ما بين البياض والسواد ،فقلت :

اسمُ مَنْ قدْ رَكبَ الأبلقُ كى يَتعَدَّى ،ظَاهرٌ فى فرَسَهْ

وهو قلبُ القلبِ أبغِى قلبهُ فأنا منْ أجلِ ذا فى هوَسَهْ

ومتى أَسْكنُ فى جنّتِهِ مستمداً ريحُها مِنْ نفَسهْ [4]

وثمة نقطة أخيرة تستوقف الشاعر وهى "الحشرات" فيدير عليها بعض الصور، ويخص بهذه الصور : البق والبرغوث والنمل والقز والعقرب والذباب والبعوض .

---

(1) الديوان ص 229
(2) الديوان ص109
(3) الديوان ص436
(4) الديوان ص241

فيصور العماد " البق والبرغوث " فى لوحة فنية رائعة ، فيقبحها لأنها لم تمتنع عن قرصه ، حيث يشرب البق دمه وكأنه يتلذذ بالغناء والبراغيث من حوله ترقص ، فتعريت من ثيابى ، وكلما يمنعهن الفراش عنى اشتد حرصهن وشرهن ، وهى تقفز مثل الطائرات فقد حص جناحها ، ثم عرضت جيشها حولى وهى لا تعد ولا تحصى ، فلو غزا السلطان سنجر بها الترك لم يبق منهم أحدًا على الأرض:

يـــالحى اللّٰهُ ليلـــةً قرَصَتْـــنى فـــى دياجيرِهـــا البراغـــيثُ قَرْصَـــا
شَّـــربتْ بَقُّهـــا دمـــى فتَعَنّـــتْ وبراغيثُهـــا تواَجَـــدْنَ رَقْصَـــا
قَـــدْ تعَرَّيـــتُ مِـــنْ ثيـــابى لكـــربى غـــيرَ أنِّـــى لبســـتُ منهـــنَّ قُمْصَـــا
كُلَّمـــا ارْدَدْتُ مـــنعهنَّ بحـــرصٍ عَـنْ فراشـى ، شـرهنَّ فـارْدَدْنَّ حِرْصَـا
مِـــنْ براغيـــثَ ، خِلْتُهـــا طَافِـــراتٍ طـــائراتٍ ، جَناحُهـــا قـــدْ حُصَـــا
عَرَضَـــتْ جَيشَـــها الفريقـــانِ حَـــوْلى وهـــى أوفَـــى مِـــنْ أنْ تُعَـــدَّ و تُحْصَـــى
لـــو غَـــزَا ســـنجرٌ بهـــا العُـــزَّ يومـــاً لم يَـدعْ مـنهُمْ علـى الأرضِ شَخْصَـا[1]

ويصور لنا "النملة" وهى رمز التدبير والتنظيم والعطاء ، فى صورة فنية رائعة ، فيقول لممدوحه :

عنـــدَ سُـــليمانَ عـــلى قَـــدْرِهِ هـــــديّةُ النَّمـــــلةِ مقْبولَـــــهْ
ويصغـــرُ المملـــوكُ عَـــنْ نَملـــةٍ عنـــدكَ ، والرَّحمـــةُ مأْمُولَـــهْ [2]

ويوضح لنا " دودة القز " وهى رمز العطاء والخير ، فإن هم الإنسان فى الحرص على الدنيا إلا دودة الحرير ، يقول الشاعر فى تلك الصورة :

(1) الديوان ص 248،249
(2) الديوان ص 362.

مـــا مَثَـــلُ الدُّنيـــا لمـــنْ يجمعُهـــا بـــــالحرصِ إلاَّ قَـــــرّةٌ ودودُهـــــا[1]

ويبين لنا " العقرب " وهو رمز الموت ، فيصور سلب سهم محب ممدوحه كلدغة العقرب :

مسلوبُ سهمِ اللّحظِ منه محبُّه ملسوبُ عقربِ صدغهِ ملسوغُهُ[2]

ويقف شاعرنا أمام " البعوض " وهو رمز للضرر وليس للنفع ، فإن شجو الممدوح ينضم والأمور كثيرة تؤدى إلى إذاء الأسد البعوض :

شَجَانى انْضِمَامى ، والخطوبُ كثيرةٌ إلى خطّةٍ يؤذى الأسودَ بعوضُها[3]

ويقف أيضاً أمام حشرة ضارة أخرى " الذباب " حيث يشبه عدو الممدوح بالذباب الذى له طنين :

عـــدوُّكَ كالذُّبـــابِ لـــه طنـــينٌ وفيـــه ذبـــابُ سيـــفكَ ذو طـــنينِ[4]

وهكذا استطاع شاعرنا أن يوظف عناصر الطبيعة الحية ، توظيفاً جيداً داخل نسيجه الشعرى ، وتعطى لنا رونقاً جميلاً لمصادر صوره ، فالشاعر كان يوازن بين مواد صوره الشعرية بما يتناسب مع الموقف الذى يعبر عن ذاته الشاعرة ، فكان يهتم بكل عنصر فى موضعه مما جعلها مادة غزيرة لكثير من صوره .

ثالثا : الطبيعة الصناعية :

لقد وجد هذا اللون من الشعر فى الأدب العربى فى مصر والشام وغيرها ، وكان ممثلا للذوق العربى الجديد الذى أثر فيه التغير الحضارى ، إذا اتصل العرب بشعوب وحضارات وثقافات مختلفة كاليونانية والفارسية ، وأدى هذا الإتصال إلى تغير المجتمع العربى .

---

(1) الديوان ص146
(2) الديوان ص295
(3) الديوان ص 271
(4) الديوان ص429

obeikan.com

لم يصف العماد القصور والدور، ولكنه ذهب إلى وصف الغرف والأبواب، والتلال، والأنهار، والمآكل المصنوعة، مثل: القطائف والشراب المصنوع مثل: شراب الفقاع، ليشكل منها مصدراً لصوره الشعرية.

فيصور لنا "غرفة" تجرى الأنهار من تحتها، وصورة أخرى يشبهها بالجنة لأهل المكارم:

فـى غرفـةٍ، أنهارُهـا مِـنْ تحتهـا تجـرى، فَفُـزْ منهـا، هُـديتَ ،بغَرْفَـةِ
هـى جنّـةٌ لأُولى المكـارمِ هُيِّئَـتْ وكمـا تراهـا بالمكـارمِ حُفَّـتِ
لكـنْ تُـزَفُ إلى الكـرامِ لحُسـنها ولأنـتَ أَوْلَـى مـنْ إليـهِ زُفّـتِ[1]

وينتقل بنا الشاعر إلى استلهام "الأبواب" باب البريد، فهو يخاطب ممدوحه بأن يكون له بريداً، حيث إنه خبيرًا بأخبار أشواقه:

وكُـنْ لى بريـداً "ببـاب البريـدِ" فأنـتَ بأخبـارِ شـوقى خـبيرُ[2]

وقوله فى أن جوازه من "باب الصغير" حظ كبير:

وأنَّ جـوازى "ببـابِ الصَّغـيرِ" لعَمـرى مـن العُمـرِ حـظٌ كـبيرُ[3]

ويصور لنا "باب الفراديس" بالجنة، وسكانه من الحور:

"وبـابُ الفـراديسِ" فرْدَوسُـها وسُـكانُها أحسـنُ الخلـقِ حـورُ[4]

وينتقل بنا إلى "التلال" حيث "تل باشر" و"تل السلطان" فهما من المواضع التى ذكرها العماد، ولم يقل فيهما شعراً.

---

(1) الديوان ص94
(2) الديوان ص186 انظر: ص187
(3) الديوان ص187
(4) الديوان ص188

ويذهب بنا إلى الأنهار يستخدمها كمصدراً من مصادر صوره ، حيث يصور جريان نهر العاصى بدماء الأعداء ، وكذلك فى مدح ناصر الدين محمد شيركوه يقول :

لما جَرَى "العاصى" هنالكَ طائعاً بدمائهم فَخَرت بهِ الأنهارُ[1]

وقوله فى بحر الكرم والسخاء "بحر القلزم " :

قطعنا إلى بحرِ النّدى بحرَ قُلزُمُ ومَنْ قصدُهُ بحرَ النّدى يقطعُ البحرا[2]

وقوله فى نهر " الزرقاء " الذى يمنع حرارة العطش :

سرينا إلى الزَّرقاءِ منها ومَنْ يُصبْ أُواماً يسرْ حتى يرى الوِرْدَ أو يَسْرِ[3]

وقوله فى كرم "نهر النيل " :

فقلتُ: اشرحى يالخَمْسِ صدراً مطيتى بصدرٍ وإلاّ جادكَ النيلُ للعِشْرِ[4]

وقوله أيضاً عن اشتداد "نهر المعلى " :

عُجْ على "نهرِ المُعَلّى" واصْرِفِ الهمَّةَ نَحْوَهْ[5]

وننتقل إلى المأكولات المصنوعة ، مثل " القطائف" ويصورها لنا فى لوحة فنية رائعة ،حيث يصور سكونها الهادئ ، وشكلها الجميل مثل العرائس البكر والعون ، وهى كالزوجة فى خدرها :

مَا راقداتٌ فى صُحونِ مستوطناتٌ فى سُكونِ

يَجْلِينَ أمثالَ العَرا ئسِ بينَ أبكارٍ وعُونِ

أو كالعقائلِ فى الخِدو رِ قَدْ اعتقلنَ على ديونِ

---

(1) الديوان ص 165
(2) الديوان ص157
(3) الديوان ص204
(4) الديوان ص 205
(5) الديوان ص441

هُـــنَّ اللَّذيـــــذاتُ اللَّـــــوا ئـــدُ بالسُّهـــولِ مِـــنْ الحَـــزُونِ
أو كالتَّمائـــــــم للصّـــــــحَا فِ ، ومـــا نَســـبنَ إلى الجنـــونِ
السُكّريـــــــاتُ العَريـــــــ ـــقاتُ العَلائـــلِ والشُّـــوونِ [1]

ويصف أيضاً ، ظهورها الجميل ، وطعمها اللذيذ ، ومنظرها البديع الأوانى الجميلة التى احتوتها :

المستطابـــــاتُ الظَّهـــــو رِ المستلـــــذاتُ البطـــــونِ
تُضَنِّـــدنَ بالتّرصِـــيعِ فـــى الـــ جامـــاتِ كالـــدُّرِّ المصُـــونِ
المستقيمـــــاتُ الصُّفـــــو فِ وقَفْـــنَّ كالخَيْـــلِ الصَّفـــونِ
وقَـــدْ اشْتَملـــنَ مـــن اللَّطَـــا ئـــفِ والصِّـــفَاتِ علـــى فُنـــونِ
اسْـــمَعْ حـــديثى فـــى انبســـا طـــى ، فالحـــديثُ أخـــو شجـــونِ [2]

ومن المشروبات التى وصفها العماد شراب " الفُقاع "[3]، فيصفه فى لوحة فنية رائعة ، حيث صورها فى أبهى صورة ، وأنها ماطرة للرى ومنكوحة ، فهى محرورة القلب حيث أصابها البرد ، والنار فى أحشائها وتظل على رأسها كأنها خمارة مخمورة، ويصفها بأنها معارة الرأس ، قصيرة القامة ذات الساق الغليظة المستديرة ، (من صفات النساء) ، وذات رأس بلا جثة وكأنها مبتورة ، وذات رأس صلعاء محلوقة ، فهى زامرة وداورة ، تعبس فى وجه من يقبلها ،معسولة الريق ، سهلة الهضم ، ملمومة مثل الصخرة الشديدة المملؤة بالماء ، وجسمها من الحجر العريض الأملس وأصبحت مشهورة لدى أهل الفضل ، وذلك فى قوله :

مـــا صُـــورةٌ ، مـــا مثلُهـــا صُـــورَهْ كأنهـــا فـــى العُمـــقِ مَطْمُـــورَهْ ؟

(1) الديوان ص418 ،419
(2) الديوان ص419
(3) الفقاع : شراب يتخذ من الشعير ، يخمر حتى تعلو فقاعاته .

تُمطـــرُ للـــرىِّ ، ومَـــنْ دَا رأَى ... مطمـــورةٌ للـــرىِّ مَمْطُـــورَهْ ؟
منكوحـــةٌ مـــا لم تَضَـــعْ حملَهـــا ... مســـدودةُ الأنفـــاسِ مَحْصُـــورَهْ
محـــرورةُ القلـــبِ ، ولكنّهـــا ... مضـــروبةٌ بـــالبَرْدِ مَقْـــرُورَهْ
كأنّمـــا النـــارُ بأحْشَائِهـــا ... علـــى اشـــتدادِ الـــبردِ مَسْـــجُورَهْ
تَظَـــلُّ مُلْقَـــاةً علـــى رأْسِهـــا ... حَمّـــارةٌ تُحْسَـــبُ مخمـــورَهْ
مُعَـــارةُ الهامـــةِ مِـــنْ غيرِهـــا ... قصـــيرةُ القامـــة مَمْكُـــورَهْ
كأنّهـــا رأسٌ بـــلا جُثّـــةٍ ... موصـــولةٍ إنْ شِـــئْتَ مبثُـــورَهْ
كهامـــةٍ صَلْعَـــاءَ محلوقـــةٍ ... مـــا اســـتعلمتْ مُوسَـــى ولانُـــورَهْ
رَامِـــرةٌ ، فـــى فمهـــا زمـرُهـــا ... وهـــى بغـــيرِ الرَّمْـــرِ مشهـــورَهْ
دَوّارةٌ إنْ أنْـــتَ أرْسَلْتَهَـــا ... مهتوكـــةُ الأســـتارِ مستـــورَهْ
مَـــنْ فَضّـــها تبصـــقُ فـــى وجهـــهِ ... كأنّهـــا بـــالفَحشِ مأمـــورَهْ
ثُـــوّرِثُ تعبيســـاً لَمَـــنْ باسَهَـــا ... وهـــى علـــى ذلـــكَ مَشْكُـــورَهْ
معســـولةٌ ، ريقَـــتُها مُـــرَّةٌ ... وهـــى علـــى اللّـــدَّةِ مقصـــورَهْ
وهـــى علـــى مـــاهىَ ، فـــى إثْـــرِهِ ... مرْسَـــلةٌ بالهَضْـــمِ مَنْصُـــورَهْ
إنْ عُقلـــتْ قَـــرَّتْ ، وإنْ أُنشـــطتْ ... فَـــرَّتْ وثـــارتْ مثـــلَ مَدْعُـــورَهْ
كَـــمْ عســـلٍ دَاقَـــتْ وكـــمْ سُكّـــرٍ ... وأنعُـــمٍ ليســـتْ بمكْفُـــورَهْ
ملمومـــةٌ مِـــنْ صَـــخرةٍ صَلْـــدَةٍ ... فاجـــرةٌ بالمـــاءِ مَفْجُـــورَهْ
مِـــنْ الصَّـــفَا جسـمٌ ، ولكـــنْ تـــرى ... علـــى صَـــفَاءِ المـــاءِ تامُـــورَهْ
فيـــا حَلِيـــفَ المأثُـــرَاتْ الـــتى ... أضـــحتْ لأهـــلِ الفَضْـــلِ مَشْـــهُورَهْ[1]

(1) الديوان ص 210 ، 211

ويصور لنا ممدوحه بماء "العذيب" فهو رمز للعطاء والعذوبة والكرم الغزير، فى أكثر من صورة فنية :

ما كانَ أعذبَ بالعُذَيْبِ لدى الصّبا عيشاً أمنتُ فناءَهُ بفنائهِ

إذْ كاسمهِ ماءُ العُذَيْبِ، وأهلُهُ فى العِزِّ تحسدُهُمْ نجومُ سمائهِ[1]

وقوله :

يا حَبّذَا ماءُ العُذيْبِ وحبّذا بنطافهِ العُزْرِ العِذَابِ تمضمضى! [2]

وهكذا لم يكن شعر الطبيعة الصناعية موازيًا لشعر الطبيعة الحية من حيث الكم والكيف، ولكن ذكرناها من باب التعرف على طبيعة ومظاهر هذا العصر، حيث تفنن الشاعر فى وصف الطبيعة الصناعية وتصويرها من خلال جريان المياة والأنهار، وروعة الأبواب، وجمال التلال، وتصوير المأكولات، ووصف المشروبات، ليخرج لنا صوراً فنية رائعة تعبر عن وجدان الشاعر، وفى نفس الوقت تخدم النص الشعرى.

3 ـ مظاهر الحياة :

اهتم العماد بمظاهر الحياة المختلفة فى بيئته، وهى أحد مصادر الصور عنده، حيث تعمق فكره فى استخدام المظاهر الحياتية فى شعره، فنجده يهتم بكل شئ ويشكله فى صوره الفنية، فالحزن والبكاء أحد مظاهر هذا العصر، فهو يحزن حزناً شديداً على فراق الإخوة والأصحاب، فيقول فى وفاته أخيه عثمان :

سَقَى اللّهُ إنساناً لعينى دفنتُهُ على رَغْمِ أنْفِى جَاعِلاً قبرَهُ قلبى

فلا تحسبوا أنَّ التُّرابَ ضريحُهُ فمنزلُهُ بينَ التّرَائبِ لا التّرْبِ [3]

(1) الديوان ص 66
(2) الديوان ص263
(3) الديوان ص82

وقوله فى فراق صاحبه المعتمد إبراهيم ، وكان يتمنى له البقاء والعمر الطويل ، ولكنها إرادة اللّه ، فقد أحب الناس لديه :

اردتَ لكَ العُمرَ الطويلَ فلمْ يكُنْ سِوى ما أرادَ اللّه لاما أردتُهُ
فيا وَحْشَةً مِنْ مُؤْنسٍ قدْ عَدَمتُهُ ويا وَحْدةً مِنْ صاحبٍ قدْ فقدتُهُ
وداعٍ دعانى باسمهِ ذاكراً له فأطربنى ذكرُ اسمهِ فاستعدتُهُ
فقدتُ أحبَّ الناسِ عندى وحَيْرُهمْ فمَنْ لائمى فيهِ إذا ما نشَدْتُهُ[1]

ونراه يتخذ صورة " الملك " فى شعره ؛ ليجعلها محوراً لصوره الفنية ، فيمدح صلاح الدين بالملك الذى يملك زمام الأمور ما بين الجد والمراح ، ويحب الصفح عن أعدائه ، وذلك فى قوله :

ملكٌ تَمَلكَ جَدُّهُ مِنْ جِدٍّ فالمجدُ مَجْدٌ والمراحُ مِرَاحُهُ
ملكٌ يُحبُّ الصَّفْحَ عَنْ أعدائهِ فلذاكَ تَصفَحُ عَنْ عِداهُ صفاحُهُ [2]

والممدوح – أيضاً- ملك يقوى الضعيف ، ويثرى المقل ، ويغنى الفقير ، ونرى الصدق والحب فى ملكه وما سواه زور :

مليكٌ بجَدْواهِ يَقْوَى الضّعيفُ ويَثْرَى المُقلُّ ويَغْنَى الفَقيرُ
أرى الصِّدقَ فى مُلْكهِ المستقيم ومُلكٌ سواه ازْوِرَارٌ وزُورُ [3]

ويتخذ الشاعر "الدينار والمال " موضوعاً لبعض صوره ، ليعكس لنا من خلالها كرم الممدوح وسخاءه وعطاياه وإنفاقه للمال :

فَرِّقْ لُهاكَ وأحسنْ وأنفقْ الدِّينارْ
مالى أكثرُ مالى ؟ ومالى الأنْصَارْ [4]

(1) الديوان ص97
(2) الديوان ص112
(3) الديوان ص 191
(4) الديوان ص 150

ويوضح لنا فى صورة أخرى أن المال فى يد ممدوحه ماله ضبط ، كما فى قوله :

مليكٌ حَوَى الملكَ العقيمَ بضبطهِ كريمٌ، وما للمالِ فى يدهِ ضَبْطُ [1]

والعطر والرائحه الطيبة ، أحد مظاهر الزينة والطيب فى المجتمع ، لذلك يتخذه شاعرنا مصدراً لصوره . فيقول فى ممدوحه :

ويَعْبَقُ عَرْفُ العُرفِ والقِسطِ عندهُ ونَدُّ النَّدَى لا البانُ والرَّندُ والقسطُ[2]

وقوله :

بمكارمٍ لكَ عَرْفُها أبداً فينا يَنُمُّ وعُرْفها يُنْمى [3]

والتهنئة بعيد الفطر والطهور ، أحد مظاهر الترف والبهجة فى المجتمع ، ويستخدمه الشاعر مصدراً لصوره ، كما فى قوله :

كلاهما لكَ فيهِ حقاً هناءٌ وأجرٌ

وفيهما بالنَّهَانى رسمٌ لنا مستمرُ

طهارةٌ طابَ منها أصلٌ وفرعٌ وذكرُ

نجلٌ على الطُّهْرِ نامٍ زكا له منكَ نجرُ[4]

وفى نهاية القصيدة يحث على ظهور الطهور وهذا أمر ، ويعتبر الختان مسك الختام ، كما فى قوله :

هذا الطُّهورُ ظهورٌ على الزَّمانِ وأمْرُ

وذا الختانُ ختامٌ بمسكهِ طَابَ نَشْرُ[5]

---

(1) الديوان ص287
(2) الديوان ص279
(3) الديوان ص401
(4) الديوان ص173، 174
(5) الديوان ص 176

وقد يلجأ الشاعر إلى استعمال " الكافور والحرير والعبير" ، ختاماً لقوافيه ، وهذه القوافى قد تصوغ أو تفوح منها الرائحة الطيبة والملمس الناعم[1].

ومن مظاهر الحياة أيضاً :

البعد عن العدو اللدود ، والدهر الخائن ، والحظ التعس ، وفقدان الممدوح كأنما فقد الحياة ، ويوم اللقاء هو يوم القيامة ، كما فى قوله :

نَـــأَى بـــى عَنْكُـــمْ عـــدوٌّ لـــدودٌ ودَهْـــرٌ حَـــؤونٌ وحَـــظٌّ عَثُـــورُ

فقـــدتكُمُ ففَقَـــدْتُ الحيـــاةَ ويـــومَ اللِّقـــاءِ يكـــونُ النُّشُـــورُ[2]

ومن ألوان الزينة فى عصر شاعرنا : السندس والخز والحرير ، يستخدمها الشاعر فى تشكيل صوره ، حيث جعل الممدوح يلبس لباس رضوان الجنة ، المليئة بالسندس والخز والحرير ، كما فى قوله :

ولبســتَ رضــوانَ المهــيمنِ سَاحِبــًا أذيــالَ سُــنْدسٍ حَــزِّهِ وحريــرهِ[3]

ويستخدم "الشمع" وهو أحد مظاهر الإضاءة والنور فى عصر الشاعر ، حيث استخدم الشمع وكأنه آله تقطع اللسان ، وذلك فى قوله :

والشَّــمعُ قطــعُ لســانهِ مِــنْ طولــهِ وحيـــاتهُ ســـببٌ الى إدْرَائِـــهِ[4]

وفى نفس القصيدة جعل قلب ممدوحه محترقا من الإشفاق مثل الشمع الذى يعيش تحت أضوائه ،وذلك فى قوله :

قلبــى مِــن الإشــفاقِ محــترقٌ لــه كالشَّمعِ وهـو يعـيشُ فـى أضْـوَائهِ[5]

---

(1) انظر: الديوان ص 162
(2) الديوان ص 186
(3) الديوان ص216
(4) الديوان ص 69
(5) نفســه

ومن مظاهر الحياة فى عصر الشاعر، استخدم " التبن والحشيش والشعير " ، كعلف للحيوان فهو يخاطب بغلته ويقول لها : خير يوم لك عندى هو أن تفوزى بالتين أو بالحشيش وتفرحى بليلة الشعير، كما يفرح قوم بليلة الماشوش ، فى قوله

قُلْتُ : كُفْى ، فخيرُ يومكِ عندى أنْ تفوزى بالتبنِ أو بالحشيشِ
وافْرَحى ليلةَ الشَّعيرِ كما يَفْـ ـرَحُ قومٌ بليلةِ الماشوشِ[1]

وقد اتخذ الشاعر " الغبار" من موضوعاته الصورية ، ليكون أحد مظاهر الحياة فى ذلك العصر، فتعجب العماد من انتشاره لكثرة الفرسان أدى إلى سد الفضاء ، كما فى قوله :

أما الغُبَارُ فإنّهُ مما أثارَتْهُ السَّنابكْ
والجوُّ منه مظلمٌ لكنْ أنارَ بهِ السَّنابكْ[2]

ومظهر آخر، يوضح فيه بأن الغبار غطى نجوم السماء ، وذلك فى قوله

غَطّى العِجاجُ بهِ نجومَ سمائهِ لتنوبَ عنها أنْجُمُ الخُرْصَانِ[3]

ويستخدم شاعرنا " الجيش " ليشكل به صوره ، وهو أحد المظاهر القوية فى الحياة ،ويجعله محورا خصبا لحقله الشعرى ، حيث يشبه جيش ممدوحه بالبحر، وفرسانه بالحيتان ، وزعيمهم بالتمساح ، وذلك فى قوله :

مَجْرٌ كبحرٍ، دَارِعٌ فرسانهِ حيتانُهُ وزعيمهُمُ تِمْسَاحُهُ[4]

ويصف رجال جيش الممدوح بالأسد العرين :

للّهِ جيشٌ بالمروجِ عرضنَهُ أُسدُ العرينِ رجالُهُ ورماحُهُ[5]

---

(1) الديوان ص245 ، ليلة الماشوش : إحدى ليالى المرح والفرح عند المسيحيين .
(2) الديوان ص321
(3) الديوان ص 412
(4) الديوان ص109
(5) الديوان ص111 ، وانظر ص 153، 209 ، 214

وهكذا كان شاعرنا صادقاً فى نقل مظاهر الحياة اليومية الموجودة فى عصره؛ ليعبر بها عن ذاته وعن فنه ومجتمعه ، ويختار موضوعات متنوعة كانت سائدة في عصره للتعرف عليها .

ثانيًا : أنماط الصورة :

(1) الصورة الحسية :

تشكل الصفات الحسية دوراً مهماً فى التشكيل الجمالى للصورة الشعرية ، فنجد باحثا كبيراً – مثل ريتشاردز – يؤكد على أهمية الصفات الحسيه للصور ، حيث إنه يرى أن " الذى يضفى على الصورة فاعليتها ليس هو حيويتها ووضوحها بقدر ما تتميز به هذه الصورة من صفات باعتبارها حدثاً عقلياً له علاقة خاصة بالإحساس ، على نحو لا يمكن تفسيره حتى الآن " [1].

والظاهر فى كلام ريتشاردز : أن الصور خلف الإحساس ، لكنه لم يتواصل إلى تفسير هذه المقولة ، بمعنى أنه ليس معروفاً حتى الآن المراحل التى يمر بها مدرك الصورة وفق طبيعة إحساسه ، ليخلق لنا الصورة فى شكلها النهائى .

وقد تكون الصورة الحسية مرئية ، وقد لا تكون ، وهذا لا ينقص من قدرتها شيئا إذا أحدثت فى المتلقى الأثر النفسى المطلوب ، وهذا التفسير ينسجم مع كلام ريتشاردز ، الذى يقول : " إن الذى يبحث عنه المصورون فى الشعر أو أولئك الذين يهتمون أولاً بما هو مرئى فى العلم ليس هو الصور الحسية المرئية ولكن سجلات للمشاهدة أو منبهات للانفعال ، وهكذا لا يعيب الصورة أن تكون مفتقرة إلى العناصر الحسية طالما كانت هى ، أوما يحل محلها عند من لا يتوالد لديهم صور تحدث الأثر المطلوب ، ولكن يجب أن نؤكد أن إحداث هذا الأثر أمر لابد منه[2]".

---

(1) مبادئ النقد الأدبى ، ص172 ، ترجمة د. محمد مصطفى بدوى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف ، القاهرة 1963م .

(2) مبادئ النقد الأدبى ، ص176

وبالرغم من النتيجة التى توصل إليها ريتشاردز فى كلامه السابق ، إلا إننا لانتفق معه فيما ذهبت إليه من أن الصور التى تفقد طبيعتها الحسية تمثل إحساساً لا يقل عن تلك التى على درجه قصوى من الإحساس حيث يقول : " وقد تفقد الصورة طبيعتها الحسية إلى حد يجعلها تكاد لا تكون صورة على الإطلاق ، وإنما تصبح عنده مجرد هيكل ، ومع ذلك فهى تمثل إحساساً لا يقل عن الإحساس الذى تولده لو كانت على درجة قصوى من الحسية والوضوح " [1]، لأنه لايوجد صورة دون مقدار معين من الإحساس ، كما أننا نعتقد أن لمثل هذه الصور العقلية التى تحدث عنها مسارب حسية تنسجها تجاربنا الذاتية الخاصة ، ويبدو أن كثيراً من الصواب فى قول سيسيل دى لويس : " أننى أن أية صورة – حتى العاطفية والذهنية – تنطوى على أثار الحواس " [2].

فإن الجانب الحسى لا يمكننا إغفالة فى مجال مدركاتنا " ومهما يباعد الشعر عن الواقع وابتكر أشكالا وصوراً خيالية لا وجود لها فى عالم الحس ، فإنه لايمكن أن يبتكر شيئا لم يؤد إليه الحس بنحو من الأنحاء "[3].

يعتبر الحس هو وسيلة إدراك الصورة ، حتى لو كانت عناصرها ذهنية ، يتخيلها الفكر فى موضع ما ، فتتشكل على صورة معينة فى ذهن المتلقى ، ويتوسل إلى إدراكها بحاسة من حواسه ، فإن إلحاحنا على الأساس الحسى للصورة لايعنى أننا ندعو إلى تغليب هذا العنصر ، لأن مثل هذه الدعوة تظلم طبيعة الشعر ، فنحن نؤمن بأن " الصورة الشعرية تضعف إذا انحصرت فى نطاق الحواس "[4] ، فإننا نفترض أنه لابد من نسبة حسية فى الصورة الشعرية الجيدة ، والشاعر المبدع وحده

---

(1) المرجع السابق ، ص 172 .
(2) سيسيل دى لويس : الصورة الشعرية ص22 ، ترجمة د . أحمد نصيف الجنابى وآخرين ، دار الرشيد للنشر ، بغداد 1982م .
(3) د. جابر عصفور : مفهوم الشعر – دراسة فى التراث النقدى ، ص 162 ، مؤسسة فرح للصحافة والثقافة، قبرص 1990م .
(4) د. محمد غنيمى هلال : النقد الأدبى الحديث ص40 .

هو الذى يعرف متى يزيد هذه النسبة أو ينقصها ، لتعمل عملها إلى جانب العناصر الأخرى.

ويقول أحد الباحثين : " أن الطابع الحسى للصورة مبدأ أساسى ، ولكنه ليس جوهر الصورة ، وإن اللجوء إلى التعبير الحسى وسيلة من وسائل تأثير الصورة ، ولكن ليس الوظيفة. إنه بالأحرى أداة لتمكين هذه الوظيفة وتقويتها فى النفس"[1].

فالشاعر يشعر بشعرية الأشياء عن طريق الحواس ، فهى تمثل حجر الزاوية فى بناء الصورة الشعرية ، وهذا ما يؤكده الدكتور جابر عصفور: " بأن التصور الشعرى يقوم على أساس مكين ، ولا مفر من التسليم بذلك طالما كانت مدركات الحس هى المادة الخام التى يبنى بها الشاعر تجاربه " [2].

فإذا كانت الصورة هى الروح التى تسرى فى جسد القصيدة التى تعبر عن تجربه الشاعر الفنية والنفسية ، فيجب أن تكون صادقة حتى تسمو وتعلو وترتقى إلى لب المتلقى وأذن السامع ، فإن الحواس هى روح الشاعر التى تعبر عن إحاسيسه ومشاعره الداخلية والنفسية وفكره الاجتماعى والسياسى .

يمكن تقسيم الصورة الحسية إلى أنواع عدة منها : البصرية والسمعية ، الشمية، والذوقية ، واللمسية ، وفى ذلك يقول أحد النقاد : "يقول لنا علماء النفس المحدثون ، إن هناك أنماطاً متعددة من الصور فى الشعر ، فهناك النمط البصرى ، والسمعى ، والذوقى ، والشمى ، والعضوى ، والحركى ، بل إن كل واحد من هذه الأنماط ينقسم إلى أنواع متعددة ، فالنمط البصرى – مثلا – يمكن أن ينقسم تبعاً لدرجاته اللونية ، أودرجات الوضوح ، والنمط اللمسى – بدوره – يمكن أن ينقسم تبعاً لدرجات الحرارة والبرودة ، أو الخشونة والملامسة ، أو اللين والصلابة " [3].

---

(1) د. محمد حسن عبدالله : الصورة والبناء الشعرى ص32.
(2) د. جابر عصفور : الصورة الفنية فى التراث النقدى والبلاغى ص340،دار المعارف 1973م.
(3) د. جابر عصفور : الصورة الفنية فى التراث النقدى والبلاغى ص341 .

(أ) الصورة البصرية :

وهى الصورة التى ترتد إلى حاسة البصر، وهى انعكاس لما رأى الشاعر أوشاهد، وهى متماثلة فى "العين" حيث هى الأداة الأولى التى تقوم بتحويل تلك الصورة إلى الخيال المبتكر، فيلتقط هذه الإشارات عدسته الذهبية الخلاقة ، ثم يعيد تشكيل تلك المادة الخام فى صورة فنية جمالية "فمن خلال العين تختزن الذاكرة آلاف الصور التى تردها نتيجة الرؤية ، وكثير من الاشياء التى تميز العين لا تميز بالحواس الأخر، كالألوان والاشكال والاحجام وغيرها " [1].

والحق أن الصورة البصرية تشكل غالبية الصور الحسية عند العماد ونرى السبب فى ذلك أن الشاعر ينقل صوراً من البيئة التى يعيش فيها ، حيث يراها بعينه ، وينقلها لأناس يستطيعون أن يروها بعيونهم ، ولعل تغليبه للصور البصرية يرجع أيضاً إلى أنها ترتبط عادة بشكل له حدود قابلة للإدراك ، ولذلك فهى تحمل نوعاً من البروز قد لا يتوافر لغيرها ، إضافة الى كونها أوضح الصور الحسية لأنها تتشكل فى النور، أما بقية الصور فغامضة ؛ لأنها تتشكل فى الفراغ ، فمن الصور البصرية التى استخدمها الشاعر قوله وهو يتغزل بعيون الممدوح[2] :

وأحـــورٌ يَسْـــبى بطـــرفٍ يكـــلْ وتَخْجَـــلُ منـــه الظَّبـــا والظِّبـــاءْ
بِخَدَّيـــهِ مِـــنْ حُسْـــنهِ والشَّـــبابِ تَجَمَـــعَ ضـــدان : نَـــارٌ ومَـــاءْ
وفـــى مُقْلّتيـــهِ وقَـــدْ صَـــحَتا كمـــا صَـــحَتا سَـــقَمٌ وانتشـــاءْ

نرى الشاعر يتغزل ويصف ممدوحه بأنه أحور العين وبطرفه تخجل منه الظبية وخديه الجميل ، وشبابه اليافع كأن تجمع عليه النار والماء ، حيث يطفىء الماء النار، وصحت مقلتيه كما صح المرض .

---

(1) د.عبد الفتاح صالح نافع : الصورة فى شعر بشار بن برد ص102 ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن 1983م .
(2) الديوان ص61 .

ومن الصور البصرية التى قالها عندما اعتقل بالديوان ، وهو يخاطب الممدوح ويطلب منه العفو والسماح ، متناولاً فى ذلك حاسة البصر " العين " قائلاً :

لاتُنْكِـرنْ ضَـحْكِى ، أُريـكَ ثَجَلُّـداً ضـحكُ الحيـا بـالبرقِ عـينُ
ماكنـتُ أعلـمُ دَمـعَ عينـى مُفْشِـياً بُكائـهِ سراً لهُـمْ أشْـفَقْتُ مِـنْ إفشائهِ
حتـى جَـرَى فـى الخـدِّ منّـى أسْـطُراً فعرفـتُ أنَّ الشّـوقَ مِـنْ إملائـهِ
ماكـانَ أعـذبَ العُـذَيْبِ لـدى الصِّبا عيشـاً أمنـتُ فنـاءهُ بفنائـهِ[1]

الشاعر هنا يخاطب دمع عينه حيث إنها تفشى سره لهم ، وهو يريد البراءة والعدل ، حتى أصبح الدمع فى الخد أسطراً كثيرة ، وهذا يدل على شدة الظلم الذى تعرض له شاعرنا ، فكان هذا الدمع غالياً ، فليس أعذب من ماء العذيب .

يصف الشاعر شوقه إلى مصر ، معتمداً على الصور البصرية التى تزيد المعنى جلاءً ، فيقول :

فـى القلـبِ نـارُ همـومٍ زادَ مضَرمُهـا والعـينُ بحـرُ دمـوعٍ فَـاضَ مائجُـهُ
ماقلـتُ إنَّ فُـؤادى مَـرَّ سَاكنـهُ إلاّ وبالـذِّكرِ مـنْكُمْ ثَـارَ هائجُـهُ
متـى تُـرى يتَسَـنى لى لقاؤكُـمُ وترْدَهينـى كمـا أهـوَى مباهجُـهُ
القَلـبُ عنـدَكُمْ قـدْ ظَـلَّ مُقْتَضِيـاً دينَ الوصالِ أما تُقْتضَى حَوائجُهُ[2]

فى الصورة البصرية السابقة تشويق الشاعر إلى مصر وعدم البعد عنها، فإن فى القلب نار كثيرة وهموم زادت مضرمها ، والعين أصبحت بحرًا من الدموع على فراق أهل مصر ، ويتسائل الشاعر متى يتسنى له لقاؤهم؟ .

صورة آخرى "للدمع " وهو يمدح نور الدين محمود ، ويصف لنا الزلزلة التى وقعت سنه565هـ ، ويصور لنا ذوبان قلبه وسيلان الدمع من كثرة سقوط الفرسان

(1) الديوان ص66 .
(2) الديوان ص105 .

obeikan.com

في ساحة المعركة ، والدموع والأشواق ماهى إلافتائت الاكباد ،أين أحبائى الكرام؟ حيث يسكنون سفح الوادى :

دَابَ قلبى ، وسَال فى الدَّمع لمّا ... دَامَ مِنْ نارِ وَجْدِهِ فى اتّقَادِ

ما الدُّموعُ التى تَحدُّرُها الأشـ ... ـواقُ إلاّ فتائتُ الأكبادِ

أينَ أحبابى الكرامِ، سَقَى اللـ ... ـهُ عُهودَ الأحبابِ صَوْبَ العهادِ

حبَّذا ساكنو فُؤادى ، وعهدى ... بهم يَسْكُنونَ سَفْحَ الوَادى[1]

وقوله أيضاً مخاطباً الدمع :

يادمعُ لا تتركْ مُسَاعَدَتى ... فقدْ استقالَ الصَّبرُ مِنْ وَجْدِى

طَلَبَ التَّصَبُّرَ جَاهِداً فأبى ... قلبٌ مِن الأشواقِ فى جَهْدِ

وتكحَّلتْ ليلاً باشدهِ ... عينٌ له مِرهتْ مِن السُّهْدِ[2]

وقوله فى أن تتقى شر عين الحسود ، عندما تعثر فرسه فى الميدان وهو يلعب بالكرة مع نور الدين محمود :

وتَوَقَّ مِنْ عينِ الحسودِ وشرَهَا ... لاكانَ ناظرها بسوءٍ ناظِرا

واسْلَمْ لنورِ الدِّينِ سلطانِ الوَرَى ... فى الحادثاتِ معاضداً ومؤازِرا[3]

وقوله مادحاً الخليفة المستنجد بالله العباسى :

وإذْ راقتْ الأبصارُ حُسنى حسانهِ ... وأطربتْ الأسماعُ نَجوَى سميرِهِ [4]

نرى هنا تعانق الصورة البصرية مع الصورة السمعية ، وذلك من خلال "راقت العيون " فى الشطر الأول ، والشطر الثانى "أطربت الأذان " .

---

(1) الديوان ص124-125 .
(2) الديوان ص130 .
(3) الديوان ص159 .
(4) الديوان ص218 .

وله صورة بصرية أخرى مادحاً فيها القائد صلاح الدين :

وإنَّ نهـــارى صَـــارَ لـــيلاً لبُعْدَكُـــمْ فما أبصَرتْ عينى صَباحَاً ولا شَمْسَا
بكيـــتُ علـــى مُسْـــتودَعَاتِ قلوبكُـــمْ كما قَدْ بَكتْ قَدْماً على صَخْرِهاالخَنْسَا
فـــلا تَحْبِسـوا عَنّـى الجميـــلَ فإنّـــنى جعَلْتُ على حُبِّى لَكُمْ مُهْجَتى حَبْسَا
رأيْـتُ صَـلاحَ الـدِّينِ أفضـلَ مَـنْ غَـدَا وأشرفَ مَنْ أضْحَى وأكرمَ مَـنْ أمْسَى
وقيـلَ لنـا فـى الأرضِ سبعـةُ أبْحُـرٍ ولســنا نَـــرَى إلاّ أنامِلَـــهُ الخَمْسَـــا
سَـحِيّتُهُ الحُسـنى ،وشـيمتُهُ الرِّضَـــا وبَطْشَتهُ الكُبْرَى ، وعَزْمَتُـهُ القَعْسَـا [1]

ففى الصورة البصرية السابقة تجسيداً لصورة البطل المغوار ، مما يجعل كل صورة على انفراد تبدو ملموسة نابضة بالحس ، فالملكة البصرية التى يتمتع بها شاعرنا وقدرته الخارقة على التركيز فى الجزئيات المحسوسة أبدعتا شعراً بالحركة واللون ، يوضح لنا الشاعر أن النهار أصبح ليلاً لبعد القائد المغوار ، وعينه لا تبصر صباحاً ولا شمساً ، حيث بكت على فراقه مثل بكاء الخنساء على أخيها صخر ، فلا تحبسوا عنى هذا الجميل ، فإنه أفضل من غدا ، وأشرف من أضحى ، وأكرم من أمسى ولا نرى إلا أنامله الخمس ، وهذا يدل على كرمه وسخائه .

وقوله فى رثاء أسد الدين شيركوه ، وتعزية أخاه نجم الدين أيوب وولده ناصر الدين محمد :

مَـنْ دَا رأى الأسـدَ الهَصُـورَ فريسـةً أم أبْصَرَ الصُّبحَ المنيرَ وقَدْ حَفَى؟ [2]

هذه صورة بصرية يوضح فيها وقوع الأسد القوى فريسة ، ومع طلوع الصبح المنير قد اختفى .

---

(1) الديوان ص231 .
(2) الديوان ص298 .

ونرى شاعرنا يبدع فى صورة بصرية غزلية ، يمدح ويتغزل بممدوحه حيث يصف العيون ، والقدود الحسان ، والخصور الملاح ، وشرب الخمر ، والعيون الواسعة :

يَرُوقُنى فى المها مُهَفْهَفُهَا ومِنْ قدودِ الحِسانِ أهْيَفُهَا
ومِنْ عيونِ الظِّباءِ أفترُهَا ومِنْ خِصُورِ الملاحِ أنحفُهَا
ما سقمى غيرُ سقم أعينها ثُمَّ شِفَائى الشِّفاهُ أرشُفُهَا
يُسْكِرنى قَرْقَفٌ يُشَعْشَعُهَا لحظُ الظَّلا لا الظِّلا وقرقَفُهَا
ياضعفَ قلبى مِنْ أعْيُنٍ نُجُلٍ أقتلها بالقلوب أضعفها [1]

وتأمل معى هذه الأبيات التى قالها أوان نضوج المشمش مادحاً صلاح الدين :

تصفَّرُ شَوْقاً لانتظارِ قدومنا ومَنْ يتَعَشّقْ ذا الفَضَائلِ يشْتَقِ
وما رَمَقْتَ للشوقِ رُمدُ عيونهِ فإنْ تترفَقْ منه تنظُرْ وتَرفَقِ
اذا حَضَرتْ أطباقُهُ غَابَ رُشْدُنا لما يتَلاقى مِنْ مُشَوَقٍ وشَيِّقِ
لأنَّ مُدَابَ الشَّهْدِ فيهِ مُجَسِدٌ أجْدّ له عهدُ الرَّحيقِ المعَتَّقِ
وما اصْفَرَّ الاّ حَوفَ أيدى جناتهُ فليسَ له أمنٌ مِن المتطرِّقِ [2]

فى الأبيات السابقة نجد امتزاجاً أو اختلاطاً بين الصور الحسية المتنوعة فقد جمع الصور الحسية فى هذه الأبيات ، حيث مزج الصورة اللونية مع الصورة البصرية ، والصورة الذوقية مع الصورة الشمية مع الصورة اللمسية ، فيعطى لنا لوحة جميلة تصور صورة المشمش أوان نضوجه ، فمن كثرة الشوق والانتظار أصاب العيون الرمد ، وعندما تحضر أطباق المشمش يغيب الرشد والعقل من شدة جماله ، حيث نجد له رائحة جميلة معتقة ، وطعما لذيذا مثل الشهد أو عسل النحل

(1) الديوان ص306
(2) الديوان ص316

ويبدو أن ظاهرة " العيون " تستهويه ، فنجدها بكثرة فى صوره البصرية ، فيقول مادحا القاضى الفاضل :

أُدمى بلَثْمى حُدودَ بيضٍ عيونُهُا للقلوبِ تُدْمِى [1]

وقوله :

بالعينِ والحاجبينِ تُعْنى عنْ كلِّ قَوْسٍ وكلِّ سَهْمِ [2]

وقوله فى المستنجد بالله :

والسُّقمُ فى جسمِ المحبِّ فَلَمْ وُصَفَتْ عيونُ البيضِ بالسَّقَمِ ؟ [3]

وقوله معاتباً صلاح الدين :

خلعٌ راقتْ العيونَ ورَقَّتْ وعَلا وَصْفُها عن الإمْكَانِ [4]

(ب) الصورة السمعية :

وهى متعلقة بحاسة السمع ، وهى حاسة مهمة يدرك بها الشاعر كثيراً من عناصر تجربته ، فتصبح عنصرًا مهمًا من عناصر الصورة الفنية ، حيث إنها تقوم على تصوير الأصوات فيقع فعلها فى النفس ، وفن الشعر يقوم أول ما يقوم على حاسة السمع ، لأنها أداته إلى النفوس ، فقد قدمت حاسة السمع على البصر فى الأهمية ، يقول د. إبراهيم أنيس : "إن حاسة السمع أكثر أهمية من حاسة البصر فهى تستغل ليلاً ونهاراً ، وفى الظلام ، وفى النور ، فى حين أن المرئيات لا يمكن إدراكها إلا فى النور والإنسان يستطيع أن يدرك عن طريق الكلام أفكاراً أرقى ، وأسمى مما قد يدركه بالنظر الذى مهما عبر ، فتعبيره محدود المعانى غامضها"[5].

---

(1) الديوان ص386 .
(2) المصدر نفسه.
(3) الديوان ص395 .
(4) الديوان ص409 .
(5) د. إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ص14، 15 ، دار النهضة العربية ، ط3 ، 1961م .

obeikan.com

ومن نماذج هذه الصورة قول الشاعر مخاطبًا صاحبيه :

لا تَطْمَعَا فى أنْ أُفِيقَ فانّنى ... ياصاحبىَّ سُكِرْتُ مِنْ صَهْبائِهِ

لا تَسْمَعَانى فيهِ ما أنا كاره ... إنَّ المحبَّ يَصُدُّ عَنْ نَصَحائِهِ

ولقَدْ أصَمَّ عَنْ الكلامِ تَعَافُلاً ... لأنزِّه الأسماعَ عنْ فُحْشَائِهِ

أرْوَى حَديثَ الحادثاتِ ،وحَطِيُها ... لى يخطبُ الأهوالَ مِنْ أهوَائِهِ[1]

يعبر الشاعر فى الأبيات عن شكواه وغضبه من الإعتقال داخل الديوان فهو يطلب من صاحبيه ألا يفيق من شرب الخمر ، ولا تسمعانى مما أقول ، فإن المحب يرفض سماع نصائح الأخرين ، فتجتمع العناصر الدالة عن الصوت النداء فى "يا صاحبى " ، لا تسمعانى ، الأسماع ، أروى يخطب "؛ ليبين لنا مدى الحزن والأسى الذى كان يعانيه الشاعر.

وصورة سمعية أخرى يوضح فيها تعثر فرسه فى الميدان وهو يلعب بالكرة مع نور الدين محمود :

لا تُنْكِرنَّ لسابحٍ عثرتْ بهِ ... قدمٌ ، وقدْ حَمَلَ الخَضَمَّ الزَّاخِرَا

ألقَى على السُلطانِ طَرفكَ طَرْفهُ ... فهَوَى هنالكَ للسَّلامِ مُبَادِرَا

سَبَقَ الرِّياحَ بجريهِ ، وكففتَهُ ... عنها ، فليسَ على خِلافَكَ قَادِرَا

ضَعُفَتْ قُوَاه إذْ تَذَكرْ أنَّهُ ... فى السَّرحِ منكَ يُقَلْ ليثاً حَادِرَا

متى تطيقُ الرِّيحُ طَوْداً شَامخَاً ... أو يستطيعُ البرقُ جوناً ماطِرَا

فاعْذُرْ سُقوطَ البرقِ عندَ مَسيرِهِ ... فالبرقُ يَسْقطُ حينَ يخطفُ سَائرَا[2]

(1) الديوان ص68
(2) الديوان ص159،158.

يستخدم الشاعربعض الألفاظ الدالة على الصوت مثل : السابح ، عثر ، قدم ، الرياح ، البرق ، فبالرغم من تعثر فرسه فإنه سبق الرياح وإذا ضعفت قواه تذكر أنه كالأسد فى عرينه ، فالريح مثل الجبل الشامخ ، والبرق يسقط مطراً أسوداً ، فيخطف السائرين .

ثم يرتفع الصوت فى عواء الكلاب ، وزئير الأسود ، قائلاً :

إنَّما كانَ للكلابِ عواءٌ حيثما كانَ للأُسودِ زئيرُ[1]

أعزِزْ علىَّ بليثٍ غَابَ للهُدَى يخلو الثَّرى منْ زورهِ وزئيرهِ[2]

كلبُ الفرنجِ عوَى منْ حَوْفِ صولتهِ وقيصرُ الرُّومِ منْ إقدامهِ مَعَصَا [3]

وعن صوت القلم ، يقول :

كذا القلمُ المبريُّ آوثهُ أنْمُلٌ فقامَ يُؤَدِّى شُكرَها بصَرِيرِهِ [4]

وعن خشوع صوت الأبطال فى المعركة ، وصليل السيف :

وقَدْ حَشّعَتْ أصواتُ أبطالها فما يعِى السّمعَ إلاّ منْ صَليلِ الظُّبى هَمْسَا [5]

ويشبه غناء الورق على أعوادها مثل الذى يرتل للتوراة :

تُغَنِّى على أعوَادِها الوُرْقُ مثلمَا يُرتِّلُ للتَوراةِ ألحانَهَا سِبْطُ [6]

وعن عدم سماع صوت الممدوح :

وإنَّ سُرورى كنتُ أسمعُ حِسّهُ فمُذْ سرتُ عنْكُمْ ما سمعتُ له حِسَّا[7]

---

(1) الديوان ص182.
(2) الديوان ص214.
(3) الديوان ص254.
(4) الديوان ص221.
(5) الديوان ص235.
(6) الديوان ص280.
(7) الديوان ص231.

وصورة عن سمعه الأصم عن العذول :

سَـمْعِي أصَـمُّ عـن العَـذُولِ وعَذْلِـهِ فعـلامَ يقـرعُ مَسْمَعِـي تقريعُـهُ[1]

وصورة عن صوت الحمام " الهديل " بين الأفنان :

هديـلُ الـوُرْقِ فـي مُـوَّر قـةٍ أفنانُهـا هُـدْلُ [2]

وصوت الحمام فوق الغصون المتدلية بالثمر، ونوحه الذى يدل على الشجن والألم وكأن مفجعة حدثت بين الحمائم، وأعلنت الحداد :

مرجعـةٌ فـوقَ العُصـونِ حمامُهَـا فنـونَ هـديلٍ بـينَ أفنانهـا الهُـدْلِ

تنـوحُ بهـا الورقـاءُ شـجواً كأنَّهـا مفجَّعـةٌ بـينَ الحمائـمِ بالثّكـلِ

مُطَوَّقـةٌ أبلـتْ سَـوَادَ حِدَادِهـا ففى الجيدِ باقٍ منه طوْقٌ له كُحْلى [3]

ونرى فى البيت الأخير تتداخل الصورة اللونية مع الصورة السمعية فقد تتشكل الصور بأكثر من حاسة من الحواس ؛ لتعطى لنا انطباعاً جيداً .

ولغناء الورق أعراس ، ولنوح الحمام مآتم :

فبشَـدْوِ الغنـاءِ للـوُرْقِ أعـرا سٌ وبـالنَّوْحِ للحمـامِ مـآتمْ [4]

وصورة أخرى :

ألهـمَ الـدَّوْحَ التّئنّـي ، بثَّـهُ شَـجْوَهُ ، بـلْ عَلَـمَ النّـوْحَ الحمَـامَا [5]

(1) الديوان ص294.
(2) الديوان ص335.
(3) الديوان ص360.
(4) الديوان ص369 .
(5) الديوان ص372.

وصورة عن ذهاب وثقل سمع ممدوحه ، مادحاً القاضى الفاضل:

والسَّمـــعُ والصُّـــلبُ للأعـــادِى مـــابينَ وقـــرٍ بهـــا ووقَـــمِ[1]

وقوله فى المستنجد باللّٰه :

للوَقْـــدِ أنفُسُهـــمْ ، وسمعهُـــمُ للوَقْـــرِ ، والأعنـــاقُ للـــوَقْمِ[2]

وبهذا يمكن القول بأن الصورة الشعرية لا تثير فى ذهن المتلقى صوراً سمعية فحسب ، أو بصرية فحسب ، بل تثير صوراً لها صلة بكل الإحساسات الممكنة التى يتكون منها نسيج الإدراك الإنسانى كله ، ولاغرو فى ذلك "فالصورة فى الشعر نتيجة لتعاون كل الحواس وكل الملكات " [3].

(ج) الصورة الشمية :

وهى الحاسة التى نشم بها الأشياء وندرك بها الروائح وفوارق الأشياء ، وتثير فينا الخيال ، وذلك عن طريق عضو الشم " الأنف ".

والعماد ينوع فى استخدام هذه الحاسة ، ويذهب فيها مذاهب شتى ، فنشم رائحة المسك ، وعطرالندى، والورد، وأنفاس الخزامى، والعَرْف والبان ، والعبير، والأقحوان ، ومن نماذج هذه الصورة فى سياق المدح ، قائلا:

مُعَطـــرٌ عرْفُـــهُ عرفـــاً ومكرمـــةً مخمـــرٌ طيبُـــهُ بـــالطُّهرِ والطيـــبِ[1]

وقوله فى إحدى دوبيتاته :

الـــوردُ علـــى خـــدِّكَ مَـــنْ أنبتَـــهُ والمســـكُ علـــى وَرْدِكَ مَـــنْ فتتَـــهُ؟

والقلـــبُ علـــى نأيـــكَ مَـــنْ ثبتَـــهُ أجمـــعَ شمـــلاً هـــواكَ قَـــدْ شتتـــهُ ؟[2]

ومن صوره الشمية متغزلا بالممدوح ، ليعبر عن مدى حبه وتعلقه به فيقول :

---

(1) الديوان ص390.
(2) الديوان ص400.
(3) ج.م .جوير:مسائل فلسفة الفن المعاصر ص73،ترجمة سامى الدروبى،دار الفكر العربى،القاهرة،1948م.
(1) الديوان ص83.
(2) الديوان ص98.

وبَـدَا البنفسـجُ بـينَ وردِ خُـدودِهِمْ غَضـاً فمـازجَ وردَهـا الكـافورا
فكَسَـا ربيـعُ الحُسْـنِ روضَ جمـالهم مِـنْ نـورهِ فـوقَ الحريـرِ حريـرا
ومعنـبرُ الصُّـدْغينِ ضَـمَ عَـذارهِ فـى عارضـيهِ إلى العـبيرِ عـبيرا[1]

وقوله الذى يجمع فيه بين " حاستى الشم والبصر" :

ومـا روضـةُ أنُـفٌ ، نَـوْرَها لنـاظرٍ ذى طـربٍ ناضِـرُ
بنفسـجُها عـارضٌ مُعْـزِرٌ ونرجسُـهُا ناظـرٌ ساحِـرُ
فثغْـرُ الأقـاحى بهـا باسـمٌ ووجـهُ الأمـانى لهـا ناشِـرُ
كـأنَّ سَـقِيطَ النَّـدى بينهـا لآلـئُ يَنْثُـرها ناثِـرُ
بأحسـنَ مِـنْ روضِ أشـعارهِ وقـدْ جَادَهـا فَضْـلهُ الماطِـرُ
تقَـرُّ بقُرْبِـكَ لابـلْ يَقِـرُّ برؤيتـكَ القلـبُ والناظِـرُ[2]

فالشاعر يصف لنا روضة أنف تسر الناظر إليها ، فنجد بنفسجها عارض مغزر، ونرجسها يسحر الناظر ، وثغر الأقاحى فيها مبتسم ، والأمانى منتشرة ، فقد تداخلت مدركات حواس البصر والشم مع عناصر الصورة الحسية ، لتضيف إلى صورته تلك مشاعر وأحاسيس جديدة ، ولم تكن هذه العناصر المستمده من الطبيعة وليدة تأمل يقوم الشاعر بإختيار ما يناسب هذا الشعور ، أو تلك العاطفة ، ولكنها "انبثاق تلقائى حر يفرض نفسه على الشاعر كتعبير وحيد عن لحظة نفسية انفعالية تريد أن تتجسد فى حالة من الإنسجام مع الطبيعة من حيث هى مصدرها البعيد الأغوار ، وتنفرد عنها ربما إلى درجة التناقض والعبث بنظمها وقوانينها وعلاقاتها تأكيداً لوجودها الخاص ودلالتها الخاصة " [3].

(1) الديوان ص162.
(2) الديوان ص167.
(3) د. محمد حسن عبد الله : الصورة والبناء الشعرى ص 33

وصورة شمية أخرى عن رقة النسيم مادحاً صلاح الدين :

وأيـــنَ نَظَـــرتَ نســـيمٌ يَـــرِقُّ وزهـــرٌ يَـــرُوقُ ورَوْضٌ نَضِـــيرُ [1]

ويعبر عن صورة شمية غزلية فى عزالدين فروخ شاه :

للصِّـبا مِـنْ عِـدَارهِ نَسْـجُ حُسْـنٍ رقـمَ المسْـكُ فـى الشّـقَائقِ طَـرْرَهْ [2]

وتخرج الرائحة الطيبة والعمل المعروف والقسط من عند السلطان صلاح الدين وذلك فى قوله :

ويَعْبَـقُ عَـرْفُ العُـرفِ والقِسْـطِ عنـدهُ ونَـدُّ النَّـدى لا البـانُ والرَّنـدُ والقسطُ [3]

ويصف لنا روضة أخرى من خلال صوره الشمية :

ومـا رَوْضَـةٌ غنـاءُ حُسْـناً كأنَّـما لوارِفُهـا مِـنْ نَسْـجِ نُوّارِهـا مِـرْطُ

اذا قـادنى للنّـرجسِ النّضِـرِ نَاضِـرٌ تـلاهُ عِـذارٌ للبنفسـجِ مُخْتَـطُ

وللـورِدِ حَـدٌّ للحيـاءِ مُـوَرَّدٌ وللبـانِ قَـدٌّ جيـدُهُ أبـداً يَعْطُـو [4]

وقوله عن رياض تفوح لطائف أنفاس فى سياق الغزل :

مـا ريـاضٌ فَاحـتْ : لطـائفِ أنفـا سٍ صـبَاها لطـائفٌ ولطائـمْ

أظْهَـرَتْ سِـرَّ نَشـرِها ، فكـأن قَـدْ مَشَـتْ الـرِّيحُ بينهـا بالنَّمـائمْ [5]

وعن تغزل الروض بأنفاس الخزامى :

عاتبـتْ سَـلمى سُـمَيراً أم تَـرَى غازلتْ بالرَّوضِ أنفاسِ الخُزَامى ؟ [6]

وقوله فى التشوق إلى مصر أن النسيم يشبه الرائحة الطيبة ، والبرق يشبه السناء والضياء :

---

(1) الديوان ص189
(2) الديوان ص223 ، انظر ص 225 ، 274
(3) الديوان ص279
(4) الديوان ص280 ، انظر ص 359 ، 360
(5) الديوان ص369
(6) الديوان ص371 ، انظر ص 401

يـــــدلُ نَسِيمَكُـــــمْ بالأريـــــجِ عليْكُـــــمْ وبَرْقَكُـــــمْ بالسَّـــــنا [1]

وهكذا فإنك تجد شاعرنا يكثر من ترديد رائحة : المسك، والنسيم والورد، والأقحوان ، والشذا ،على مدار صوره الشعرية .

(د) الصورة الذوقية :

لدى الشاعر، ومن نماذج هذه الصورة عند شاعرنا قوله متغزلاً :

والرِّيـــــقُ كـــــالرَّاحِ شُجّـــــتْ بعـــــذبِ مـــــاءٍ قَـــــرَاحِ

مِـــــنْ كـــــأسٍ فيـــــهِ اغْتِبَاقـــــى مُنَعَّـــــمَاً واصْـــــطِباحى

وفـــــى الأُمُـــــورِ احْتِشَامـــــى علـــــى اسمـــــهِ وافْتِتَاحـــــى [2]

يشبه وداع ممدوحه بالألم مثل إصابة العسل بالمر، مادحاً القاضى الفاضل :

شَـــــهَدَ الـــــوَدَاعَ فـــــزَادَهُ ألمـــــاً لّمـــــا أصَـــــابَ الصَّـــــابَ فـــــى الشَّـــــهْدِ [3]

ويقدم لنا صورة ذوقية يستخدم فيها الشاعر حاسة الذوق ، مادحاً القاضى العدل أبو القاسم عمر بن أحمد الباسيسى ، وهو يشرب ويتجرع من كأس العتب بطعمه المر ولكنه عنده أحلى من عسل النحل إذ يقول :

تَجَرَّعـــتُ كـــأسَ العَتـــبِ مُـــرّاً وإنّمـــا لـوُدِّكَ عندى كـانَ أحلى مِن الشَّهْدِ [4]

ويصف "عيون موسى" بالماء المر:

ودونَ حَثْـــا لمـــّا حَثْثْـــنَا ركابنـــا عيـــون لموســى لم يـــزلْ ماؤُهـــا مُـــرَّا [5]

ويستخدم الطباق فى صوره الذوقية ، وذلك فى قوله :

وفـــــى العَطيـــــةِ حلـــــوٌ وفـــــى الحمـــــيةِ مُـــــرُّ [6]

---

(1) الديوان ص 405 ، انظر ص 431 ، 434 ، 455 ، 316
(2) الديوان ص115
(3) الديوان ص131
(4) الديوان ص142
(5) الديوان ص157
(6) الديوان ص175

ويتذوق فى فمه طعم الخمر :

مُنْثنى العَطْفِ مُنْتَشى الطَّرْفِ فى فيـ ـــهِ الحُمـــيا وطَـــرْفُهُ المخمـــورُ [1]

وقوله :

للحُميـا فـى فيـهِ طَعـمٌ وفـى عيـ ـــنيهِ سُـكْرٌ وفـوقَ حَدَّيـهِ نُـورُ [2]

ويصف فى صور ذوقية حاله وعيشه المر كما فى قوله :

قُـلْ لحلـوٍ حـالَ مِـن الحُسْنِ فـى هجـ ـــركَ حـالى حـزنٌ وعيشـى مريـرُ [3]

وقوله مادحاً :

و"بـــالمرج" مرجـــوٌّ عيشـــى الـــذى علـى ذكـرهِ العَـذْبِ عيشـى مَريـرُ [4]

وقوله معاتباً :

يُجَرعنـى مـن كأسـهِ صَـرْفَ صَـرْفهِ فعـيشٌ مريـرٌ ذوقـهٌ فـى مُـرورهِ [5]

ويشبه شراب الفقاع كالنافخ بالمزمار، وطعمها ما بين الحلو والحامض كما فى قوله :

زامـــرةٌ ، فـــى فمـــها زمْـــرُها وهـــى بغـــيرِ الزَّمْـــرِ مَشْهُـــورَهْ

معســـــولةٌ ، ريقتُـــــها مُـــــرَّةٌ وهـــى علـــى اللـــذَّةِ مقصـــورَهْ [6]

وارتبطت حاسة الذوق عنده بالأصدقاء والأصحاب ، كما فى قوله إلى علم الدين الشاتانى :

لحفـظِ قلـبِ الصَّـديقِ أجـترعُ الصَّـ ـــابَ وأُبْقـــى لكأســـهِ العَسَـــلا [7]

---

(1) الديوان ص178
(2) الديوان ص179 ، انظر ص 277
(3) الديوان ص178
(4) الديوان ص186
(5) الديوان ص219 ، 356
(6) الديوان ص211
(7) الديوان ص328

وصورة أخرى يصف لنا فيها طعم وجمال وحلاوة المشمش :

تُخْفــى اذا مــا بــدَا لعينــكَ فــى فيــكَ ، وفيــه النَّــدى إذا وَصَــلا [1]

وقوله :

حــــــلاوةٌ لا يَمْــــــلُ آكلُــــــها إذا الحــــلاواتُ أحْــدَثْتْ مَلَــلا [2]

وقد يعمد شاعرنا إلى الصورة الذوقية فى سياق المدح ، كما فى هذه الصورة مادحاً :

واجْعَــلْ رضــاعى جَنَــى رضــابٍ بفيــــكَ منــــه يَعــــزُّ فَطْمــــى

فريقــــكَ الحــــلوَ عَــــذْبُ وردٍ يَـرْوى صَـدَى القلـبِ وهـو يُظْمـى [3]

والشاعر يصور ممدوحه بجنى الحلو والمر ثم يخلط بالسم ، فالخمر ريقه ، وليس كل خمر حامض الطعم أو حلو الطعم كما فى قوله :

وحَــــلا ومُــــرَّ وتجنيــــاً وجــــنىً يــا شــهدُهُ ، لِــمْ شِــيْبَ بالسُّــمِّ ؟

الخمــــرُ ريقتُــــهُ ، وقَــــدْ عَــــذُبَتْ مــا كُــلُّ خمــرٍ مُــرَّةُ الطَّعْــمِ [4]

وهكذا يشير الشاعر إلى صفة الذوق فى مادته؛ ليشكل لنا صوراً فنية متنوعة ، ونجد ملكة الذوق عالية عنده .

(هـ) الصورة اللمسية :

وهى مرتبطة بحاسة اللمس ، فباللمس يحدد الإنسان أبعاد الشئ ، ومدى لينه وبرودته وحرارته وخشونته ، ولها دور هام فى التصوير ، وعنصر من عناصر الصورة الحسية عند الشاعر ، كما فى قوله عن الشيب:

وكتــابُ الشَّــبابِ لَــمْ يَطْــوِّه الشَّيْــ ــبُ ولامَــسَّ نقشــةُ التَّتْرِيــبُ [5]

---

(1) الديوان ص330
(2) الديوان ص331 ، انظر ص 333 ، 346 ، 361
(3) الديوان ص385
(4) الديوان ص396
(5) الديوان ص 77

فالشاعر يصور لنا كتاب الشباب بأنه لم يستطع أن يطويه الشيب ولا الإفساد مس نقشه ، فالطوى والمس صفتان لا تدركان إلا بحاسة اللمس .

وقوله عندما يصبح الشبان كالشيب :

غداً يشُبانِ في الكُفَارِ نارَ وغىً بلفحها يُصْبحُ الشُبانُ كالشَّيْبِ [1]

ويعبر لنا عن صوره اللمسية باستخدام لفظة "يد" مثل : يد الردى، يد الفراق، يد الإحسان ، يد الإفضال ، أيدى الملوك ، يد الأقدار ، يد الزمان ، كما فى قوله :

وما الناسُ إلاّ كالعُصونِ يدُ الرَّدَى تُقرِّبَ منها كُلَّ عودٍ لناحَتِ [2]

وقوله :

عقدتُ بكَ الإيمانَ بالنُّجحِ واثقاً فَحَلّتْ يدُ الأقدارِ ما قَدْ عقدتُهُ [3]

وقوله :

وغَدَتْ عقودُ مَسَرتى مجموعةً لا تستطيعُ يدُ الفُراقِ شتائها [4]

ويستخدم الشاعر "الكف " أى كف الممدوح؛ ليعبر لنا عن مدى كرمه وسخائه وعطائه من عدة صور لمسية حية ، وذلك يتضح فى قوله :

يمينكَ دأبُها بذلُ اليسارِ وكفُكَ صَوْبُها بدرُ النُّضَارِ

وقوله مادحاً :

أكفُّ ملوكِ العَصْرِ لا وَكْفَ عندها وكفُّ المليكِ النّاصرِ البحرُ لا الوقطُ[5]

وقوله :

وعلى نيلها لكفيكَ فَضْلٌ فهُمَا بالنُّضَارِ جَاريتانِ [6]

---

(1) الديوان ص84
(2) الديوان ص93
(3) الديوان ص97
(4) الديوان ص99 ، والشاعر يستخدم صيغة الجمع "الأيدى " ليوضح لنا كثرة نعم الممدوح الغزيرة ، انظر ص 195 ،125 ، 202 ،272 (5) الديوان ص195
(5) الديوان ص278
(6) الديوان ص 409 ، انظر ص 342

ويصور لنا أطراف أصابع ممدوحيه :

وكــلُّ بنــانِ فــوقَ ســنٍ لنــادمٍ وكــلُّ يــدٍ فــوقَ التريبــةِ والنّحــرِ [1]

وقوله مادحاً نور الدين محمود :

راحــوا فبــاتوا تحــتَ كُــلِّ مذلَّــةٍ وضَــرَبَتْ مــنهُمْ فــوقَ كُــلِّ بنــانِ [2]

ويستخدم شاعرنا اللمس لتصوير كرم وسخاء الممدوح من خلال " الأنامل " فتارة يعبر عن ذلك بأنامله الخمس ، وتارة أخرى بأنامله العشر ، ومن نماذج هذه الصورة قوله مادحاً صلاح الدين :

لكَ الصدرُ والباعُ الرَّحيبانِ فى العُلى وذاكَ المحيا الطّلقُ والأنملُ السُّبْطُ [3]

وقوله :

وقِيلَ لنا فى الأرضِ سبعةُ أبحرٍ ولسنا نَرَى إلاّ أناملهُ الخَمْسَا [4]

وقوله فى القاضى الفاضل :

وجميعُ ما فى الأرضِ سَبْعَةُ أبحرٍ وبحورهِ تُسْمى بعَشْرِ أناملِ [5]

ونراه يستعمل الكف مع الأنامل مادحاً الخليفة المقتفى لأمر الله :

فى كفِّهِ للجودِ خمسةُ أبْحُرٍ فياضةً ، تُسْمَى بخمسِ أناملِ [6]

ومن صورة اللمسية أيضاً ، يصور لنا الظبى بالغصن الذى يهتز ، ومن شدة جمال عيونه خطف القلب بنظره ، وذلك فى قوله متغزلا :

شــادٌن كالقضــيبِ لــدْنُ المهــزَّه سَــلَبتْ مُقْلَتــاهُ قلبــى بغُمْــزَهْ [7]

---

(1) الديوان ص206
(2) الديوان ص 413
(3) الديوان ص280
(4) الديوان ص231
(5) الديوان ص342
(6) الديوان ص348
(7) الديوان ص223

وصورة أخرى للغصن المهزوز القوام بسبب دوران الريح عليه فيقول :

والغُصـــنُ مَهْـــزُورُ القـــوامِ كأنّمـــا دارتْ عليـــهِ مِـــن الشَّـــمَال شمـــولُ [1]

لقد تنوعت الصور الحسية فى شعر العماد بنسب متفاوتة ، ونلاحظ أن اعتماده على حاسة البصر فى تكوين عناصرها أكثر من اعتماده على العناصر المستمدة من بقية الحواس الأخرى ، فتعتبر" العين" هى أكثر الحواس استقبالا للصور ، وعلى الرغم من أن شاعرنا لم يغفل استخدام مدركات الحواس الأخرى عناصر لها أهميتها فى تشكيل الصورة ، حيث إن " العقل لا ينفد إلى الطبيعة من خلال النظر فحسب ، وهو لا يتحرك فى نطاق المرئيات وحدها ، وإنما يستهلك كل الأشياء الواقعة وكل الصفات ، سواء أكانت مرئية أم غير مرئية "[2].

إلا أن إلحاحه على حاسة البصر من أهم عناصر صوره وتظل سمة بارزة فيها، وإذا كانت البحوث والدراسات النقدية تقرر "أن الطابع الأعم للصورة هو كونها مرئية ، وكثيراً من الصور قد تبرر غير حسية لا يزال لها فى الواقع ارتباطات بصرية ضعيفة ملتصقة بها ، فإنها تشير أيضاً إلى حاسة البصر "[3] ، أى أنه فى استطاعته كثير من الشعراء أن يفكروا بطريقة غاية فى التخصص والحسية ، ومع ذلك لا يستخدمون الصور المرئية على الإطلاق .

فلا توجد قاعدة فنية ضابطة يمكن أن تحكم نسب هذه الصور فى شعر العماد، ألا أن المفاضلة بين الشعراء على أساس توزيع الصور الحسية فى شعرهم كانت من بين القواعد النقدية التى نهجها نقاد الغرب المحدثين. يقول صاحبا نظرية الأدب :

---

(1) الديوان ص333

(2) د/ عز الدين اسماعيل : الشعر العربى المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ص130 ، دار الفكر العربى ط 3 ، القاهرة 1966 م .

(3) سيسل دى لويس : الصورة الشعرية ص 21.

" ويبدو أن إليوت فى ثنائه على دانتى وهجومه على ميلتون يأخذ بنظرة أكثر وثوقية فى الإلحاح على التصور، فيقول : إن مخيلته دانتى بصرية ، فهو حكواتى ، وبالنسبة لكل شاعر كفء تعنى الحكاية الرمزية مخيلة بصرية واضحة ، ومن ناحية أخرى نجد لدى ميلتون لسوء الحظ مخيلة سمعية "[1] .

ومن خلال كلام إليوت فى مفاضلته بين " دانتى " و" ميلتون " يتضح أن ثمة إعلاء للصورة البصرية على الصورة السمعية ، وما ذلك إلا لأن حاسة البصر هى "بؤرة الحس " ومنبه الشعور، وأساس التصور، وعلى كل حال ، فإن الشعراء يتفاوتون فى ترتيب صورهم الشعرية – وفق الحواس – تفاوتاً يصعب ضبطه بمقاييس دقيقة ، لأن هذا التفاوت هو القاعدة النفسية ، التى يصدر عنها الشاعر، عندما يبدع صوره المختلفة .

ثالثا : الصورة اللونية :

هى الصورة التى تقربنا من عالم الطبيعة المحيط بالشاعر ومدى إحساسه بها ، فتعكس الألوان حالة الشاعر النفسية ، ومدى صدى الطبيعة على وجدانه ومشاعره .

والصورة الأدبية فى نظر الدارسين " لا تخلو من اللون ، فيها من أحمر، وأخضر، وأبيض ، وغيرها من الألوان المركزة والخفيفة ، أو من لون نتج من نوعين مركزين ، فنبع منها لون آخر يحمل عناصرهما معاً ، وليست هذه هى المقصود عندى من الألوان فحسب ، بل أضيف إليها كذلك ما توحى به بعض هذه الألفاظ من رموز تدل على لون ، أو معنى فيه شبة الألوان "[2] .

---

(1) انظر : رينيه ويليك وأوستن وارين : نظرية الأدب ص 195 ، ترجمة : محى الدين صبحى ، ط 3 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت 1985 م .

(2) د/على صبح:البناء الفنى للصورة الأدبية عند ابن الرومى ص 273، مطبعة الأمانة ، القاهرة، ط1،د . ت.

ولم يفضل النقد القديم أن يشير إلى دور اللون فى تشكيل الصورة الفنية، مثل : ابن طباطبا العلوى (ت322هـ) فى قوله : "والتشبيهات على ضروب مختلفة ، فمنها : تشبيه الشئ بالشئ صورة وهيئة ، ومنها تشبيه به معنى ، ومنها تشبيه به حركة وبطء وسرعة ، ومنها تشبيه به لوناً ومنها تشبيه به صوتاً ، وربما امتزجت هذه المعانى بعضها ببعض "[1].

ومن نماذج الصورة اللونية قول شاعرنا مصوراً اللون الأخضر والأحمر فى لحية الممدوح ووجنتيه :

وشَـــى بخـــطٍّ عِـــذَارِهِ وجنَّـــاتهِ ما أحسنَ الخَضْرَاءَ فى حمرائـهِ![2]

وصورة يصف فيها العمامة المذهبة قائلا :

لعمامـــــةٍ ذهبـــــيةٍ كغمـــــامةٍ يبـــدُو بهـــا بـــرقُ الطِّـــرازِ المغـــربى

مـــا كـــانَ أحســـنَ حالـــهُ لـــو أنـــهُ شُـــفِعَتْ عمامتـــهُ بثـــوبٍ مُـــذَهبِ! [3]

فى هذه اللوحة التصويرية يصور شاعرنا العمامة المذهب بالغمامة التى تغطى السماء ويبدو عليها برق ونقش الشكل المغربى الجميل ، وفى البيت الثانى يصور حال الممدوح بأنه لم يكن فى أحسن حال إذا لم تكن عمامته عليه ذهب ، فقد استخدم الشاعر لون الذهب (الأصفر) لما فيه من جمال وبريق ولمعان .

وصورة لونية أخرى يبين فيها هزيمة الأعداء وسفك دمائهم ، فيقول :

راحُ النَّجيـعِ بهـا صـحافُ صـفاحكُمْ مَـــلأى وتمـــلأُ كُـــلَّ كـــاسٍ راحُـــهُ

وتجـــولُ فـــى صَـــهَوَاتِها فرسانُكُـــمْ وتـــدورُ فـــى حَلوّاتـــهِ أقداحُـــهُ

ويروقُـــهُ الخمـــرُ الحـــرامُ ، وعنـــدكُمْ ممـــا يـــراقُ مِـــن الـــدِّماءِ مباحُـــهُ [4]

(1) ابن طباطبا العلوى : عيار الشعر ص 25 ، تح / طه الحاجرى ومحمد زغلول سلام المكتبة التجارية ، القاهرة ، 1956 م

(2) الديوان ص67

(3) الديوان ص84 ،85

(4) الديوان ص110

يصور لنا الشاعر فى هذه الصورة نزيف دم الأعداء الذى ملأ الأوانى والكؤوس والفرسان تصول وتجول من كثرة الدم ، وفى الخلوات يشربن الخمر الحرام مع إراقة الدماء المباحة ، وفى البيت الأخير يستعمل المجاز المرسل ، والدم هنا يمثل لنا اللون الأحمر، فلذلك تعد صورة لونية .

وصورة أخرى :

روضٌ مِـن الصُّـفْرِ البنـودِ وحُمرهـا والبـيضِ ، يُزْهَـى وردُهُ وأقاحُـهُ [1]

يصف الشاعر الروض الذى يجمع بين الألوان الأصفر والأحمر والأبيض ، حيث يزاهى الورد والأقاحى ، فقد جمع الشاعر بين الألوان الثلاثة فى بيت واحد .

وثمة صورة لونية أخرى يمدح فيها القاضى الفاضل :

إنَّ سَـوَّدَ البيضـاءَ بـيضَ مِـنْ ثـوبِ اللَّيـالى كُـلَّ مُسْـوَدِ [2]

نرى فى هذه الصورة اللونية يجمع شاعرنا بين اللون الأسود الذى يعبر عن الظلام والظلمة ، واللون الأبيض الذى يعبرعن النور والضياء ، ويستخدم الصورة الاستعارية ، حيث استعار الثوب لليالى السود .

واستخدم اللون الأبيض والأسود فى صورة لونية أخرى ، يقول فيها :

قَـدْ ابـيضَّ حَظِّـى فـى دَرَاهُ ، وإنّنـى مُسَـوَّدُ مجـدٍ ، حَظَّـه غـيرُ مُسَـوَدَ [3]

وثمة صورة أخرى مصوراً الشيب :

ومـا مَشَّـيبُ المـرءِ الاّ غُـبْرَةً تَعَلّقَـتْ مِـنْ رَكْـضِ عُمْـرٍ قَـدْ غَبَـرْ [4]

---

(1) الديوان ص111
(2) الديوان ص133
(3) الديوان ص143
(4) الديوان ص151 انظر: ص 313

فى هذه الصورة يشبه شاعرنا لون مشيب الإنسان بأنه كلون الغبار، الذى يتطاير فى الجو، وهذا يعطينا عدم الإهتمام بمشيب الإنسان ، فقد عبر الشاعرعن الشيب باللون الأبيض ، و "الشيب " محور هذه الصورة .

ويقول شاعراً آخر واصفاً الشيب :

هــل الشَّــيْبُ الاّ حليــةٌ مُسْــتَعَارةٌ ومنــذرُ جــيشٍ جَاءنــا مُتَقدِّمَــا [1]

فالشاعر هنا يصف لنا الشيب بأنه حلية مستعارة .

وصورة لونية أخرى مادحاً فيها صلاح الدين :

بنــو الأصــفر الإفــرنج لاقــوا ببيضــهِ وسمــرِ عَوَاليــهِ منــاياهــمُ حُمْــرَا

ومـا ابـيضَّ يـومُ النَّصرِ واخْضَرَّ روضُهُ مِن الخصبِ حتى اسْوَدَّ بالنَّقعِ واغبرَا [2]

الشاعر يصور لنا فى البيت الأول هزيمة الإفرنج فى الحرب ، واستخدم شاعرنا الكناية حيث كنى بنو الأصفر وهم الإفرنج ، والبيض وهو السيف ، والمنايا الحمر وهم الموتى ، واستخدم الألوان : الأصفر والأبيض والأسمر والأحمر ، وفى البيت الثانى يصور بياض يوم النصر ، واخضرار الروض حتى هب عليه الغبار فأصبح أسودا ، واستخدم اللون الأبيض للنصر ، واللون الأخضر للخضرة ، واللون الأسود للغبار.

وهذه الألوان كلها " كالحركة فى الصورة تحتاج إلى قدرة الشاعر فى الملائمة بينها وبين المعنى ، وعبقريته فى إشاعة الألفاظ بينها مما يتفق مع الغرض من الصورة " [3].

هذا وقد نجح العماد فى ذلك حيث وفق فى مزج الألوان بما يتفق مع الصورة . وتأمل معى هذه الصورة مخاطباً المستضىء بالله :

---

(1) الديوان على بن الجهم ص 200 ، تحقيق خليل مردم ، دار صادر ، بيروت ، 1996 م
(2) الديوان ص160
(3) البناء الفنى للصورة الأدبية عند ابن الرومى ص 273

ونَشَـــرْنَا أعَلامَنـــا السُّـــودَ مَهْـــرَاً للعــدى الــزرقِ ، بالمنايــا الحمــرِ[1]

فنرى فى هذه الصورة ثلاثة ألوان : اللون الأسود يعبر عن الهزيمة واللون الأزرق يعبر عن الأعداء أو العداوة ، واللون الأحمر يعبر عن القتل فقد وفق الشاعر فى اختيار الألوان بما يتوافق مع الصورة " السود ، الزرق ، الحمر" ونرى فى هذا البيت تعدد الكناية .

فكما مزج شاعرنا بين الألوان فقد مزج بين الصورة اللونية والصورة الضوئية .

يقول مخاطباً الزرقاء :

أعَادتْـكِ يـا زرقـاءُ حمــراءَ أدْمُعـى فقَـدْ مَزَجـتْ زُرْقَ المـواردِ بالحُمْـرِ

وسُـودُ هُمُـومى سَـوَّدتْ بـيضَ أرْمُنـى فيــومى بــلا نُــورٍ وليلــى بــلا فَجْــرِ

أيــا ليـلُ زِدْ مــا شـئتَ طُـولاً وظُلمـةً فقدْ أدْهَبَتْ منكَ السَّنا ظُلمةُ الهَجْرِ[2]

فى تلك الصورة تسيطر على شاعرنا ملكة الألوان ، وكأنها هى التى تسوقه ، فقد استخدم اللون الأحمر والأزرق والأبيض ، ثم عكس ذلك مستخدما الصورة الضوئية مثل (النور ، الليل ، الفجر ، الظلمة ، السناء) ففيها ألفاظ ملونة بالسواد مثل (الليل ، الظلمة) وألفاظ ملونة بالضياء أو البياض مثل (النور ، الفجر ، السناء) فهذه صورة حزينة ، لتظهر لنا مدى المعاناه التى يعانيها الشاعر من فراق أهله بدمشق .

(1) الديوان ص200
(2) الديوان ص204 ، 205

وثمة صورة لونية أخرى يمدح فيها المستضيء بالله :

نـــوافرُ ،مُسَـــوَّدُ الشَّـــبابِ أليفُـــها حبائـبُ ، مبـيضُّ المشِّـيبِ بغيضُـها[1]

فى هذه الصورة يستخدم اللون الأسود للشباب ، واللون الأبيض للمشيب.

ويصف المشمش قائلا :

حمـــرٌ حِسَـــانُ الوجـــوهِ قَـــدْ لبســـتْ مِـــنْ حُضْـــرِ أوراقهـــا لهـــا حُـــلَّلا[2]

الشاعر يصف المشمش بجمال الوجه المتمثل فى الحمرة ، للدلالة على النضج الكامل ، وتزين بأجمل الأوراق الخضرة ، فقد استخدم شاعرنا اللون الأحمر للوجوه الجميلة الحسنة ، واللون الأخضر للأوراق .

وثمة صورة لونية أخرى يصف فيها الأترج ، مستخدما الطبيعة الصامتة ، يقول :

وأُترجـــــةٍ صَـــــفراءَ لم أدْرِ لونَهـــــا أمِـنْ فَـرَقِ السِكِّينِ أمْ فُرْقـةِ السكنْ ؟

بحـــقٍّ عَلَتْهـــا صُـــفْرَةٌ بعـــدَ حُضْـــرَةٍ فمـنْ شَـجَرٍ بانـتْ وصَـارتْ الى شَـجَنْ[3]

فشاعرنا فى هذه الصورة يصف الطبيعة الصامتة المتمثلة فى " الأترج " مانحاً لها صوراً ملونة ، فهى صفراء اللون ومع ذلك لم يدر الشاعر ما لونها الحقيقى ، فقد استعان باللون الأصفر والأخضر ليدلا على النضج والإكتمال .

فقد استطاع الشاعر عن طريق سيطرته على الألفاظ والصور أن يجعل للطبيعة الصامتة دوراً فى تشكيل صوره الفنية ، "فإذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى ولا اختراعه ، أو استطراف لفظه وابتداعها ، أو زيادة فيما أجحف فيه غيره

(1) الديوان ص270
(2) الديوان ص330
(3) الديوان ص404

من المعانى ، أو نقص مما أطاله سواه من الألفاظ أو صرف معنى إلى وجه عن وجه آخر ، كان اسم الشاعر مجازاً لا حقيقة ، ولم يكن له إلا فضل الوزن " [1].

ويرى د.عبد المجيد عابدين " أن تكوين الطبيعة هو اختيار الشاعر ، فهو الذى يضفى عليها تلك المناظر ذات الألوان الزاهية أو القاتمة ، كما أن لهذه الطبيعة دورها الذى لايجحد فى نسبة شيوع لون ما على غيره من الألوان فى رسم الصورة الشعرية لشعراء بيئة ما يميز صورهم وألوانهم ، كما تتميز قاماتهم وألوان بشرتهم"[2] .

وهكذا استطاع العماد أن يوظف اللون توظيفاً جيدًا داخل النص الشعرى فيعتبر اللون أحد أهم عناصر تشكيل الصورة عنده ، فاللون منتشر بالديوان فنجده فى مقطوعة أو قصيدة ، وخاصة اللون الأسود والأبيض والأحمر.

رابعا : الصورة الضوئية :

وهى الصورة التى يستطيع أن يشكلها الشاعر ، من خلال حواسه وملكاته من عناصر الضوء الموجودة فى الطبيعة مثل : الليل ، النهار ، الظلام ، النور ، الشمس ، والقمر ، ونتفق مع أحد الباحثين فى قوله : "ويتعاون فى تشكيل الصورة حواس الشاعر وملكاته ومقدرته فى الربط بين الأشياء المتنافرة فى الواقع لإثارة العواطف والملكات التخيلية .

وقد يربط الشاعر بين الأمور المتباعدة بالتشبيه ، وقد يعقد الصلة بين الإنسان والطبيعة بالإستعارة فيجعل من الطبيعة ذاتاً ، ومن الذاتى طبيعة خارجية ،

---

(1) ابن رشيق : العمدة فى محاسن الشعر وأدابه ونقده 116/1

(2) د/ عبد المجيد عابدين : بين شاعرين مجددين ص 90 ، ايليا أبو ماض وعلى محمود طه ، وؤسسة الخانجى ، القاهرة 1955 م .
وانظر د/ يوسف حسن نوفل : الصورة الشعرية والرمز اللونى ص 82 ، 89 ، دار المعارف 1995م .

فتجمع الصورة بين التشبيه والإستعارة وغيرها من وسائل الأداء المجازى والتصوير البلاغى " [1].

فمن نماذج هذه الصورة فى شعره ، قوله ينعت ممدوحه بالشهاب والشمس والصبح :

وهو الشِّهابُ حقيقةً ، فالفَضْلُ مِنْ أنوارهِ ، والطُّولُ مِنْ أنوائهِ
كالشَّمسِ فى آرائهِ ، كالغيثِ فى آلائهِ ، كالصُّبحِ فى لألائهِ [2]

استخدم شاعرنا فى هذه الصورة الاستعارية الضوئية بعض مظاهر الطبيعة الضوئية ، مثل : " الشهاب ، الشمس ، الصبح " ، فهو ينعت ويمدح ممدوحه بهذه الصورة الضوئية ، ويمدحه أيضاً بالفضل والغيث وهذه يدل على كرمه وسخائه .

ونرى شاعرنا يستعين بلفظة " الشهب " فى مدحه ممدوحه ،وذلك فى قوله :

مُعَمَّرٌ بعمودِ الصُّبحِ بيتُهُمْ له مِن الشُّهبِ أوتادٌ وأطنابُ [3]

وقوله :

ما أعجزتكَ الشُّهبُ فى أبراجها طلباً ، فكيفَ حَوَارجٌ فى أبْرُجِ [4]

وقوله مادحاً نور الدين محمود :

كانَ مُقيماً بها على الفلكِ الـ أعلى شِهاباً بنورهِ سَطَعَا

(1) د/ على إبراهيم أبو زيد : الصورة الفنية فى شعر دعبل الخزاعى ص 242
(2) الديوان ص 70
(3) الديوان ص75
(4) الديوان ص102

لكنمّـــا الشُّـــهبُ مـــا تـــنيرُ إذا لاحَ عمـــودُ الصَّـــباحَ فانْصَـــدَعَا[1]

وثمة صورة ضوئية يمدح فيها السلطان صلاح الدين بعد فتح منبج ، قائلا :

فرأيُـــــكَ يستـــــنزلُ النُّـــــ جـــــومُ مِـــــن الأبْـــــرُجِ[2]

يصور الشاعر رأى الممدوح بأنه رأى صائب ، فينزل النجوم من الأبراج العالية، وهذا يدل على قوة وسداد الرأى عند السلطان صلاح الدين فقد استعان شاعرنا بلفظ "النجوم" لإبراز الضياء والنور.

وصورة ضوئية يشبه فيها الممدوح بالشمس والبدر والسحب والنجوم قائلا :

كشِّـمُوسِ الضُّـحى ،كمثـلِ بـدورِ الـ ـتمِّ كالسُّـحبِ ،كـالنُّجومِ الزَّهـرِ[3]

فى هذه الصورة يشبه شاعرنا ممدوحه بعدة تشبيهات : حيث يشبهه بشمس الضحى ، ويشبهه بالبدر التمام ، وبالسحب ، ويشبهه أيضاً بالنجوم الزاهرة ، فقد استعان الشاعر فهذه الصورة بعناصر الطبيعة ؛ لرسم معالم الصورة ، مثل " الشمس، البدر ، السحب ، النجوم " .

ويقول فى صورة ضوئية أخرى يتشوق فيها الجماعة بالشام :

طَلَعَـتْ نجـومُكمُ الثَّوَاقـبُ للـورَى زُهْـراً وإنّـى كالسُّـهى عنـه سُهـى[4]

يشبه الشاعر طلوع النجوم الثواقب بالزهر الجميلة ، ويستعين شاعرنا بالتشبيه فى " كالسهى عنه سهى " حيث سهى عن طلوع هذه النجوم المضيئة ، فهو فى هذه الصورة يتشوق إلى رؤية أهله ويندم على مفارقتهم كما يستعين بالطبيعة الصامتة فى رسم هذه الصورة المتمثلة فى " النجوم " و" الزهر " .

---

(1) الديوان ص286
(2) الديوان ص104
(3) الديوان ص201
(4) الديوان ص453

ومن الصور الضوئية التى استخدمها الشاعر " الظلام والليل والصباح " ومن نماذج ذلك فى قوله :

عــادَ العَــدوُ بظُلْمــةٍ مِــنْ ظُلْمــهِ فـى ليـلٍ ويـلٍ قـدْ حَبَـا مصْبَاحُـهُ [1]

وقوله :

ومـا كنـتُ أدْرِى أنَّ فَضْـلى ناقَصِـى وأنَّ ظـلامَ الحـظِّ مِـنْ فَـيضِ نُـورِهِ

كـذلكَ طُـولُ اللَّيـلِ مِـنْ ذى صَـبابةٍ يُخْبِّــرُهُ عَــنْ عَيْشــهِ بقُصُــورِهِ [2]

ويصور لنا أن الزمان قد أصبح نهاراً ، ولم يقبل الليل بظلمه ، فى قوله :

وصَــارَ بــه هــذا الزَّمَــانُ جميعُــهُ نهـاراً فمـا للنـاسِ ليـلٌ مُعَسْـعَسُ [3]

وصورة ضوئية يوضح فيها عدم طلوع الصبح وحلول الظلام ، وقد استخدم فيها عناصر الضوء مثل : " الإصباح ، الليل ، الظلام " ، فالليل و الظلام ألفاظ توحى بالوحشة والظلمة يقول :

عَــدِمَ الإصــباحُ ليلــى بَعْــدَكُمْ أسْــفِروا لى مَــرَّةً تجلُــو الظَلامَــا [4]

ويصور لنا شروق الليالى الداجية بفضل الحور العين :

ليــالى أشْــرَقَتْ منهــا الــدِّياجى بحــورٍ مِــنْ جنــانِ الخُلْــدِ عــينِ [5]

وقوله إلى بعض المعارف :

وسرينــــا فــــى الدِّيــــاجى فَهَــــدَانا ضَــــوْءُ نَــــارَكْ [6]

---

(1) الديوان ص108.
(2) الديوان ص219.
(3) الديوان ص237
(4) الديوان ص373
(5) الديوان ص423
(6) الديوان ص320

نـرى فـى الصـورة السـابقة مزجـاً أو جمعـاً بـين الصـورة اللونيـة المتمثلـة فـى "الـدياجى" ، والصـورة الضـوئية المتمثلـة فـى " شـروق الليـالى " و"ضـوء نـارك " ، فقـد استعار الشاعر الحور العين ، والضوء ، فى تشكيل هذه الصورة الفنية ، ولا شك أن الليل و الضوء من مفردات الطبيعة التى تدل على الصورة الضوئية .

وصورة ضوئية أخرى مادحاً فيها عز الدين فروخ شاه ، قائلاً :

أرعَـى نجـومَ اللَّيـلِ فـيكُمْ سَـاهراً بنجـومِ دَمْـعٍ أوجُهـا فـى الأوْجُـهِ [1]

نرى الشاعر يشبه نجوم الليل بإنسان يسهر ، وبنجوم تدمع فى الأوجه فقد استعان شـاعرنا بالسهر والـد مـع وهمـا شيئان ملازمـان للإنسـان ، كمـا اسـتعان بعناصـر الطبيعـة " الليـل " وترمـز إلى العتمـة والظلمـة ، و"النجـوم" التـى ترمـز إلى العلو والضياء والنور.

وثمة صور ضوئية يهنىء شاعرنا صلاح الدين فيها قائلاً:

فـلا عَـدَمتْ أيامنـا منـه مُشْرقَـاً يـنيرُ بمـا يُـوَلى لياليَـا الدُّمْسَـا [2]

الشاعر يصور لنا إنارة الليالى الدمسى بفضل نور وانتصار القائد صلاح الدين يفـتح القـدس ، فقـد اسـتخدم العمـاد "الليـل المظلـم" ؛ ليـدل علـى الظـلام والعـتم ، والخيبة والانكسار، وهو أحد مفردات الطبيعة عند الشاعر.

(3) الديوان ص448
(4) الديوان ص231

obeikan.com

وصورة ضوئية أخرى يرثى فيها أسد الدين شيركوه ، قائلاً :

مَـنْ ذا رأى الأسـدَ الهصُـورَ فريسـةُ أمْ أبْصَرَ الصُّبحَ المنيرَ وقَدْ حَفَى ؟[1]

فى هذه الصورة يرثى العماد أسد الدين شيركوه ، وهو حزين على فقدانه فهو مثل الأسد القوى الذى أوقع فريسته من أيدى الأعداء ، أم مثل الصبح المنير الذى ضاع نوره ، وقد استعان شاعرنا بعناصر الطبيعة الحية المتمثلة فى" الأسد " ، والطبيعة الصامتة المتمثلة فى " الصبح " وهو أحد مفردات النهار فالأسد يوحى بالقوة والشجاعة ، والصبح المنير يوحى بالنور والإشراق ، ونرى المزج بين الصورة البصرية فى الشطر الأول والصورة الضوئية فى الشطر الثانى .

فكما استعان الشاعر بالليل والنجوم محوراً لصوره ، فإنه يستعين بالشمس؛ ليتخذها محوراً لصوره الضوئية ، ومن أمثلة ذلك قوله مادحاً الخليفة المقتفى بأمر الله :

وبَـرَزْتَ مثـلَ الشَّـمسِ تُشْـرقُ للـوَرَى وسَناكَ يحجبُ عنكَ ناظِرَ مَنْ نَظَرِ[2]

فى هذه الصورة الضوئية يشبه بروز الخليفة بالشمس التى تشرق للورى ونورك وضياؤك يحجب أويمنع كل من ينظر إليك ، فالشمس والسناء توحيان بالضياء والنور ، فكلاهما صور ضوئية .

ويمدح عز الدين فروخ شاه بصورة ضوئية بأنه شمس النهار :

أعَـزَّ الـدِّينِ غيـثُ الجـودِ ، غَـوْثُ الـ وَرَى ، طَـوْدُ العُلـى ، شَـمْسُ النهـارِ[3]

(1) الديوان ص298
(2) الديوان ص152
(3) الديوان ص195

ويمدح السلطان صلاح الدين بصورة ضوئية بعد فتح عزاز، فيقول :

شَمْسُ الضُّحَى فى الحُسنِ لم تُضَاهَها بـدرُ الـدُّجى فـى الـتِمِّ لم يُوَازِهـا [1]

فشاعرنا فى هذه الصورة يفخر بممدوحه بأنه فى الحسن والجمال مثل شمس الضحى التى لم يضاهها شىء ، فى التم مثل بدر الدجى الذى لم يوازه شىء ، ولجأ شـاعرنا إلى الطبيعـة وأخـذ منهـا بعـض مفرداتهـا مثـل : "الشمس ، والبـدر" ، فالشمس والبدر يرمزان إلى الضياء والنور.

وقوله أيضاً :

وإنَّ نهـــارى صَـــارَ لـــيلاً لبُعدَكُـــمْ فما أبْصَرَتْ عَيْنى صَبَاحاً ولاشَمْسَا [2]

يقول الشاعر فى هذه الصورة لبعدكم عنى صار النهار ليلاً ، وعينى لاتستطيع أن تبصر صباحا ولا شمسا ، فاستخدم الشاعر بعض عناصر الضوء مثل : النهار والليل ، الصباح والشمس ، فأصبحت كل هذه العناصر محوراً لصوره الضوئية .

ويقول فى إحدى حكمياته :

اقنـــعْ ولاتطْمـــعْ ، فـــإنَّ الفَـــتى كمالـــهُ فـــى عـــزَّةِ النَّفْـــسِ

وإنمـــا يـــنقصُ بـــدرُ الدُّجـــى لأخـــذهِ الضَّـــوءَ مِـــن الشَّـــمسِ [3]

الشاعر يخاطب إنساناً بأن يقنع ولا يطمع فى الحياة ، فإن كمال الإنسان فـى عـزة الـنفس ، كمـا أن بـدر الـدجى يـنقص ويأخـذ الضـوء مـن الشـمس التـى لا تنقص، فقد استعان شاعرنا بالبدر والضوء والشمس ، فهما رمزاً للضياء والنور والإشراق ، وثمة صورة ضوئية يمدح فيها شمس الدولة توران شاه ، قائلاً :

---

(1) الديوان ص225
(2) الديوان ص231
(3) الديوان ص240

كأنـكَ شَـمْسُ الدَّولـةِ البـدرُ بيننـا ونحـنُ حَوَاليـكَ النُّجـومُ الطَّوالـعُ [1]

يصور شاعرنا ممدوحه بأنه البدر الجميل الذى يقف بيننا ، ونحن النجوم الطالعة حواليه ، فقد لجأ الشاعر إلى عناصر الطبيعة المضيئة مثل : " البدر والنجوم" .

وصورة ضوئية أخرى يمدح فيها الخليفة المقتفى :

فالشَّـمْسُ مـا بـينَ العِجَـاجِ كأنهـا بـدرٌ تطَلّـعُ جُـنحَ ليـلٍ لائـلِ[2]

شاعرنا فى هذه الصورة يصور الشمس وسط الغبار بالبدر الذى يطلع فى جنح الليل اللائل ، فقد استعان الشاعر بعناصر الطبيعة " الشمس ، البدر الليل" لتخدم صوره الضوئية ، فالشمس توحى بالنور والسناء وكذلك البدر، أما الليل فيوحى بالسواد و الظلمة ، فقد أكثر من صوره الفنية لخدمة الصورة الضوئية[3].

خامسا : الصورة الحركية :

هى تقوم على تصور الحركات وفعلها فى النفس ، وتأثيرها على ذهن المتلقى ، فإن الحركة والفاعلية ميزاتان يمتاز بها الشعر دون سائر الفنون .

وثمة كثير من الصور الحركية التى تربط بالأفعال والحركة ، مثل : هوى، تضعضع ، جرى ، يطاف ، طارت ، نزل ، جب ، تجول ، وذلك كما فى قوله راثياً صلاح الدين :

جبـلٌ تَضَعْضَـعَ مِـنْ تَضَعْضَـعُ ركنـهِ أركاننـــــا تهـــــدُّنا هُدَائُـــــهُ

(1) الديوان ص289
(2) الديوان ص348
(3) انظر: الديوان ص113 ، 116 ، 191 ، 216 ، 229 ، 375 ، 367

ماكنــتُ أعلــمُ أنَّ طَــوْداً شَامــخَاً يَهْــوَى ولا تَهْــوَى بنــا مَهَوَاتُــهُ[1]

وقوله :

ولــئنْ هَــوَى جبــلٌ لقــد بُنيــتْ لنــا ببنيــــهِ مِــنْ هَضَــباتهِ دَرَواتُــهُ [2]

وقوله فى رثاء أسد الدين :

تَضَعْضَعَ فـى هـذا المصَـابِ المباغـتِ مِـن الـدِّينِ لـولا نُـورهُ كُـلُّ ثابـتِ [3]

وقوله مادحاً صلاح الدين :

وتجــولُ فــى صَــهَوَاتها فرسَانُكُــمْ وتــدورُ فــى حَلَواتــهِ أقدَاحُــهُ [4]

وقوله :

وجُبْنَــا الفَــلا حتــى أتينــا مباركــاً على بركـةِ الحُـبِّ المبشِّـرِ بالقَصْـرِ [5]

وقوله مادحاً حسام الدين عمر بن لاجين :

نزلــتَ بالقــدسِ فاســتفتَحتَهُ ومتــى تقصدْ طرابُلساً فـانزلْ على قَدَّسَـا [6]

وقوله :

يطــافُ بهــا الأســواقُ لارغــبٌ لــها لكثرتهـا كَـمْ كثـرةٍ تُوجـبُ الوَكْسَـا[7]

ومن صوره الحركية قوله مادحاً القائد صلاح الدين :

بجيشــكَ أزعجــتَ جــأشَ العــدوِّ فمــا نَضَــرق منــه الاَّ نُفــورُ

تَرَكْــتَ مَصَــارعَ للمشركيــنَ بطــونُ القَشَّــاعمِ فيهــا قُبــورُ

تُــزاحمُ فُرْسَــانَها الضَارِيــاتُ فتصــدمُ فيهــا النُّســورَ النُّسُــورُ

---

(1) الديوان ص88.
(2) الديوان ص92
(3) الديوان ص93
(4) الديوان ص110
(5) الديوان ص206
(6) الديوان ص229
(7) الديوان ص 235.

openkan.com

وانَّ تولُّـــــدَ بكـــــرِ الفُتـــــوح اذا ضُـــربَتْ بالـــدُّكورِ الـــدُّكورُ [1]

هذه صورة حركية تدور فيها معانى البطولة والحرب ، فجيش الممدوح أزعج قلب العدو فلم يبدو منه إلا النفور والهروب ، بطون النسور قبوراً لهم ، ويتزاحم الفرسان الضارية فى ميدان المعركة ، فترى تصادم النسور بعضها مع بعض وذلك من كثرة الجثث والضحايا ، حيث سيفك هو سبب الفتوحات .

وصورة حركية أخرى يقول فيها :

فَـــــرَّ فريرِيُّهـــــا وأزعَجَهَـــــا نـــــداءَ داويِّهـــــا تلهفُهَـــــا

يمطـــرُ مطرانُهـــا العَـــدَابَ كمـــا يُـــرْدَى بهـــدِّ السُّـــقوفِ أسقفُهَـــا

تكســـــرُ صُـــــلبانَها وتُنْكِسُهَـــــا لَقصْـــــمِ أصْـــــلابِها وتَقَصُفُهَـــــا

أوردتَ قلـــبَ القلـــوبِ أرشيـــةً مِـــن القنـــا للدِّمـــاءِ تنزفُهَـــا [2]

يوضح لنا الشاعر حركة هروب العدو ، واستجابة قوم الداوية لمعاونة باقى الأعداء ، وحركة المطر الغزير الذى يؤدى إلى هد السقوف عليهم ، وكسر الصليب ونكسه ، وذلك من شدة هول المعركة وانتصار المسلمين وهزيمة الفرنج شر هزيمة .

وثمة صورة حركية أخرى يقول فيها :

وشـــغلتَ جَأشَـــهُمُ بجـــيشٍ هَدَّهُـــمْ فجَنَـــى شَـــارَ النَّصْـــرةِ الجيشـــانِ

ومَـــلأتَ بـــالنيرانِ أربُـــعَ أهلِهـــا فتَعَجَّلُـــوا الإحـــراقَ بالنـــيرانِ

عَـــادُوا وحـــينَ رأوا حَـــرَابَ بيوتهـــمْ يئسُـــوا مِـــن الأوْطَـــارِ والأوْطَـــانِ

(1) الديوان ص192.
(2) الديوان ص310.

بـــاؤوا بـــأحزانٍ وحَاضُـــوا هَوْلَهـــا ممـــا لقُـــوا بمخَاضـــةِ الأَحْـــزَانِ[1]

يبين لنا الشاعر بأن ممدوحه قام بشغل قلب العدو بإعداد جيش قوى هدهم وهزمهم ، فنتج عن هذا ثمار الانتصار ، والنيران ملأت كل الأماكن وأخذت تحرق كل شيء ، فعندما عادوا وشاهدوا الخراب بأعينهم يئسوا وأحبطوا من أوطارهم وأوطانهم ، فأصبحوا بحزن شديد مما لقوه فى مخاضة الأحزان .

وقوله مادحاً :

قُـلْ للمليـكِ صَـلاحِ الـدّينِ أكـرمَ مَـنْ يمشى على الأَرْضِ أومَنْ يركبُ الفَرَسَا [2]

يخاطب الشاعر ممدوحه ويقول له : قل للملك صلاح الدين من الأكرم الذى يمشى على الأرض أو الذى يركب الفرس ؟

إذا كانت الصورة تزين الشعر ، فإن المعانى تزين الصور ، فهى مثل أنفاس السحر ، كما فى قوله[3] :

صـــورٌ تقـــومُ بهـــا معـــانٍ منكُـــمُ إنَّ المعـــانى زائنـــاتٌ للصُّـــورْ

دقـــتْ لمعنـــى السِّـــحرِ إلاَّ أنهـــا راقـــتْ ورقَّـــتْ مثـــلَ أنفـــاسِ السِّـــحَرْ

وقد تكون الحركة داخل الصور سريعة أو بطيئة ، حيث إن وجود الحركة فى الصور يعطيها حيوية ، فهى على اختلاف حركتها ودرجتها تعتبرعنصرًا مهمًا من عناصر الصورة ، فمن صوره الحركية السريعة .

---

(1) الديوان ص416.
(2) الديوان ص228
(3) الديوان ص154

قوله :

مـا كـانَ أسـرعَ عَصْـرهُ لمـا انقضـى فكأنمـــا ســـنواتهُ ساعاتُـــهُ [1]

وقوله :

حمـلَ السَّـلاحَ إلى القتـالِ ومـا دَرِى أنَّ الـذى يَجْنـى عليـهِ سـلاحُهُ [2]

وقوله :

ســـطوةٌ زلزلـــتْ بسُكَانِهـــا الأر ضَ وَهَـــدَّتْ قَوَاعِـــدَ الأطْـــوَادِ

أحَـــدْثَهُمْ بالحـــقِّ رَجْفَـــةُ بـــأسٍ تـــرَكْتُهُمْ صَـرْعَى صُـروفِ العَـوَادِى [3]

وقوله:

وطَـارَتْ على نـارِ المَوَاضِـى فرَاشُـهُمْ صَـلاءً فَـزَادَتْ مِـنْ خمـودِهِمْ قَبْسَـا [4]

ومن صوره الحركية البطيئة قوله :

إنْ أســـتزِدْهُ يـــزدْ كـــراهُ وزائـــدٌ تحريـكُ مَهْـدِ الطِّفـلِ فـى إغْفَائـهِ [5]

وقوله :

وقـفَ الملـوكُ علـى انتظـارِ ركوبـهِ لهـم فَفـيمَ تـأخَرَتْ ركبائُـهُ ؟ [6]

---

(1) الديوان ص90
(2) الديوان ص108
(3) الديوان ص126
(4) الديوان ص235
(5) الديوان ص69
(6) الديوان ص90

obeikan.com

ومن أفعال الحركة استخداماً بالديوان الفعل المعتل الآخر " جرى " وذلك فى قوله :

حتـى جَـرَى فـى الخُـدِّ منّـى أسْـطُراً فعَرَفْـتُ أنَّ الشـوقَ مِـنْ إملائـهِ [1]

وقوله مادحاً نور الدين محمود :

والأعـادى جَـرَى علـيهمْ مِـن النَّـد مـيرِ مـا قَـدْ جَـرَى علـى قـومِ عَـادِ [2]

وقوله مادحا ناصر الدين محمد بن شيركوه :

لمـا جَـرَى " العاصـى " هنالـكَ طَائعـاً بـدمائهمْ فَخَـرتْ بـهِ الأنهـارُ [3]

وقوله مادحاً صلاح الدين :

جَـرَى بالـذى تَهْـوَى القَضَـاءُ وظَـاهَرتْ ملائكـةُ الـرَّحمنِ أجنـادَكَ الحُمْسَـا [4]

والتعبير بالصورة الحركية يعطى للصورة حيوية وأكثر تفاعلاً مع المتلقى ، ويستطيع أن يتعامل معها بسرعة وسهولة ويسر .

فإن التعبير بالصورة " يفوق درجات التعبير باللغة العامة النمطية ، كما أن التعبير بالصورة لا يخضع للمنطق نفسه الذى تخضع له اللغة التقريرية ، ولهذا تصبح الصورة الشعرية ذات منزلة منفردة ، وذات رؤية جمالية من نوع خاص تراعى المفردات فى علاقتها ، والمفردات فى امتداداتها الدلالية "[5].

فالشاعر الجيد هو الذى يوفق فى استخدام الصور حيث تهدف فى النهاية الى إظهار فكرته أو تصوره للموقف الذى يريد التعبير عنه ، ويجعل الصور معبرة عن طبيعة الموضوع .

---

(1) الديوان ص66
(2) الديوان ص126
(3) الديوان ص165
(4) الديوان ص232، وانظر الديوان : ص72 ، 199 ، 342 .
(5) د. يوسف حسن نوفل : الصورة الشعرية واستيحاء الألوان ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ط1، 1985م

obeikan.com

ثالثا : عيوب الصورة :

لقد وقع العماد فى بعض المزالق والعيوب :

(1) **تراكم الصورة :**

وهو عبارة عن تجمع صورى مكثف يتركز فى حيز واحد في القصيد في حين تخلو بقيتها ، أو تكاد منه بعامة ، فقد يكون التراكم في أول القصيدة أو في منتصفها ، أو في آخرها ، المهم أننا فى أثناء سيرنا مع الشاعر سيراً وئيداً ، وفي خط بيانى ضئيل التذبذب نصطدم فجأة بحائط صلب كثيف من الأحجار المزركشة الصورية تزدحم جنباً إلى جنب ، وتتراكم ، وتدفع بالخط البيانى إلى أقصى مداه ، ثم تنزل بها فجأة مرة أخرى ، وكأنها إحصائيات عددية شاذة قصد إليها الفنان قصداً "[1] .

ومن أمثلة التراكم عند العماد قوله يصف المشمش[2] :

حَكَى جَمَراتٍ بالفَضَا قَدْ تعَلّقَتْ ... فيا عجبى مِنْ جمرةِ المتَعَلِّقِ

كأنَّ نجومَ الأرضِ فوقَ غُصونهِ ... فيا حيرتى مِنْ نجةِ المتألِّقِ

وجنّاتُها مُحَمّرةٌ وجَنَاتُها ... فَمَنْ يَرَاها مثلى يحب ويعشقِ

بَدَتْ بينَ أوراقِ العُصونِ كأنّها ... كراتُ نُضارٍ فى لجينٍ مُطْرَّقِ

تُساقِطُها أشجارُها فكأنها ... دنانيرُ فى أيدى الصَّيارفِ ترتقى

ففي هذه الأبيات تتكرر أداة التشبيه ، وتتجمع الصور الفنية وتزدحم بشكل مكثف تظهر براعته فى حشد عدد كبير من التشبيهات التى معظمها صوراً حسية ، والصور هنا تتلاحق تباعاً ؛ لتتكدس فوق بعضها البعض ، فهذا التراكم والتكدس لايكسب الصورة التلاحم والتداخل ، فهذا يعطينا إيحاء بأن كل الصورة ليست

(1) انظر د. نعيم حسن الياقى : الصورة الفنية فى الشعر العربى الحديث فى مصر ص185.
(2) الديوان ص316 ، 317.

في نسيج واحد ، وبذلك فقدت الصورة الجزئية حيويتها واتسمت بالجمود والتفكك، وفقدت القدرة على التشكيل والتركيب مع غيرها ، ونرى العماد قد بالغ فى رسم هذه الصورة .

وقوله فى وصف روضة :

كـــأنَّ نُعاماهـــا تبلِّـــعُ نحونـــا تحايـا قرأَناهـا علـى ألسـنِ الرُّسـلِ

تُـــؤرِّجَ أرجـــاءَ الرِّضـــاءِ كأنمـــا تجامـلُ فـى حمـلِ التَّحيـةِ عَـنْ جُمْـلِ

مرجعـــةٌ فـــوقَ العُصـــونِ حمامُهـــا فُنـــونَ هـــديلٍ بـــينَ أفنانهـــا الهُـــدْلِ

تنـــوحُ بهـــا الورقـــاءُ شَـــجْوَاً كأنهـــا مُفَجَّعـــةٌ بـــينَ الحمـــائمِ بالثَّكْـــلِ [1]

ومن صوره التراكمية أيضاً، نراه يستخدم أفعال التشبيه مثل: "يحكى يشبه" فى صوره الفنية ، وذلك فى قوله :

فالأسْـــمَرُ العَسَّـــالُ يحكـــى نَاحِـــلاً مُتَلوِّبـــاً مِـــنْ سُقْمِـــهِ لم يَنْقَـــهِ

والأبـــيضُ الرَّعَـــافُ يُشْـــبهُ مُدْنفَـــًا أَلِـفَ الضَّـنى وأصَـابهُ جُـرْحٌ صَـهى [2]

ولا شك أن هذا التراكم والتكديس فى الصور، يعطى للمتلقى والسامع نوعاً من الضيق ، ونوعاً من الرتابة والملل من تلك التشبيهات التى رصها الشاعر لنا ، دون أن يُفعل التخيل الشعرى الحى تفعيلاً حقيقياً من خلال عاطفة قوية جياشة للم هذه الأجزاء فى صوره الفنية[3].

(2) تكرار الصورة :

إن تكرار الصورة هو أحد العيوب الشائعة عند العماد ، إذ يكرر ألفاظاً بعينها لأغراض شتى ملائمة للمعنى ، ويكرر شطراً كاملاً لغرض ما والفرق بين الصورة

(1) الديوان ص360
(2) الديوان ص452
(3) من نماذج التراكم انظر : ص213 ، ص214 ، 348 ، 409 ، 432 ، 433.

المكررة والصورة الجاهزة "غير المكررة " أن الأولى : يبنيها الشاعر بنفسه ، أما الثانية : فيستعيرها من غيره ، ويمكن تقسيم الصورة المكررة إلى قسمين :

الأول : يكرر فى القصيدة الواحدة ، والآخر : يكرر فى الكل العام " مجموعة القصائد "، وهى هنا وهناك مرتبطة بمحدودية التصور ، وتدل على ضيق الأفق ، وعدم القدرة على التنويع ،

والثانى : هو الذى انتشر فى شعر الشاعر ، فقد رأيناه يقدم لنا الفكرة الواحدة فى قصائد متباينة ، ثم يعيدها بأثواب جديدة ومختلفة ، ومن نماذج ذلك قوله :

وأُحبكُـــــمُ حُـــــبَّ النُّفـــــو سِ لمـــا تُؤَمِّـــلُ مـــنْ بقـــاءِ [1]

وقوله :

أشـتاقكُمْ شَـوقَ الظِّمـاءِ إلى الحُبـا وأُحـبكُمْ حُـبَّ النُّفـوسِ حيائهـا [2]

ويكرر نفس المعنى ، قائلاً :

أُحـبكُمْ حُـبَّ النُّفـوسِ بقاءَهـا أشـتاقكُمْ شَـوْقُ الظِّمـاءِ إلى الـوِرْدِ [3]

ونجده يكرر ذات الشطر الأول فى الشطر الثانى ، قائلاً:

أمثْلُـكَ كُـلُّ حبيـبٍ جَفَـا ومثلـى كُـلُّ حبيـبٍ جَفَـى؟[4]

ومن تكرار الصورة ، قوله مادحاً:

سـواكَ لسـهمِ العُلـى لـنْ يَرِيشَـا فنسـألُ ربَّ العُلـى أنْ تعيشَـا[5]

ويكرر نفس المعنى فى مقطوعة أخرى ، قائلاً :

أسـألُ اللّه َذا العُلـى أنْ تَعِيشَـا ألـفَ عـامٍ لِنّصـرِهِ مُسْتَحِيشَـا[6]

---

(1) الديوان ص
(2) الديوان ص99
(3) الديوان ص128
(4) الديوان ص301
(5) الديوان ص242
(6) الديوان ص243

ويكرر صورة أخرى فى قصيدة واحدة ، وتقع فى الشطر الثانى، قائلاً :

نطَاقـــهُ فـــى القيـــاسِ نُطْـــقٌ وعَطْفُـــــهُ جَـــــانحٌ لسِلْمـــــى

وحُلْقـــــهُ جَامـــــحٌ لحـــــربى وعَطْفُـــــهُ جَانـــــحٌ لسِلْمـــــى[1]

ونجد العماد يكرر شطراً كاملاً مرة أخرى ، واصفاً القطائف ، وذلك فى قوله :

صَـــــرْعَى ومـــــا دَارَتْ لهـــــا يومـــاً رَحَـــى الحـــربِ الزَّبُـــونِ[2]

والمعنى يكرره فى قصيدة أخرى مادحا الملك المظفر تقى الدين عمر، قائلاً:

بـــدَا رَدُّ العِـــدَارِ، فقلـــتُ : هـــذا يـــديرُ لنـــا رَحَـــى الحـــربِ الزَّبُـــونِ[3]

وفى صورة أخرى يكرر الشطر الأول برمته مادحاً نورالدين محمود:

ياســـالبَ التِّيجـــانِ مِـــنْ أربابِهـــا حُـــزْتَ الفَخَـــارَ على دَوِى التِّيجـــانِ[4]

ويكرر نفس الصورة ونفس المعنى والشطرالأول فى قصيدة أخرى ، يمدح فيها عزالدين فروخ شاه :

ياســـالبَ التِّيجـــانِ مِـــنْ أربابِهـــا ومِـــن الثنـــاءِ مَصُـــوغةٌ تيجانُـــهْ[5]

كما يكرر فى أربع قصائدٍ متنوعةٍ معنى واحداً ، وهو " ثلم ثغر الكفر"، وذلك فى قوله :

وثَلْـــمُ ثَغْـــرِ الكُفْـــرِ عَادَاتُـــهُ لاَلَـــثْمُ ثَغْـــرِ العَـــادةِ الـــرُّودِ[6]

ويكرر المعنى نفسه فى سياق المدح :

ودأبـــهُ ثَلْـــمُ ثغـــورِ الكُفْـــرِ، لا لـــثْمُ ثغـــورِ ناقـــعِ بَرُودُهَـــا[7]

---

(1) الديوان ص384
(2) الديوان ص419
(3) الديوان ص424
(4) الديوان ص411
(5) الديوان ص437
(6) الديوان ص138
(7) الديوان ص144

ويكرر المعنى ذاته فى موضع ثالث :

ووا مِقَــاً ثْلْــمَ ثْعْــرِ الكُفْــرِ تعجبُــهُ لالـثمَ ثغـرٍ شَـنيبٍ واضـحٍ شَـبِمِ[1][2]

ويكرر المعنى فى موضع رابع متغزلاً:

مــا جَــدَّ فــى ثْلْــمِ ثْعْــزِ صَبْــرِى لوجَــــادَ لى ثْعْــــرُهُ بلثْــــمِ[3]

كل هذه الصور التكرارية تترك فى روع المتلقى نوعاً من الملل والرتابة تقتل لديه لذة التأثر والمتعة بالفن الرفيع ، وكثيراً ما يصبح تكرارها مصدر ألم وإزعاج ، يؤدى إلى توتر نفسى وذهنى ، فبالرغم من هذا التكرار فإنه قد يوحى بدلالة جديدة أو غرض جديد [4] .

(1) الديوان ص380 (2) الديوان ص 383

(3) من نماذج تكرار الصورة ، انظر ص "125 ، 128 ، 322" ، ص"112 ، 114 ،

(4) 366" ، ص " 160 ، 198 " ، ص "246 ، 261 " ، ص167 ، 190" ، "ص372 ، 396 " ، " ص 385، 402 "، ص"419 ، 425" ، "ص418 ، 426 " ، "335 ، 360" .

obeikan.com